جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

بلاغة الخطاب النبوي

وأثرها في تحقيق التوافق النفسي والاجتماعي

الدكتورة

هدى أحمد محمد زين

المدرس بقسم البلاغة والنقد
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة

العدد التاسع عشر
للعام ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م
الجزء الخامس

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٥م
الترقيم الدولي ISSN 2356-9050

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، رب المشرقين ورب المغربين، وصلاة وسلاماً على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد (ﷺ) وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ،،،

لما كان الناس يحتاجون إلى التواصل بينهم فكان لابد من لغة وخطاب يتواصلون به؛ للتعبير عن احتياجاتهم ومتطلباتهم، وكان لزاماً أن تكون هذه اللغة التواصلية لغة راقية، سهلة عذبة مؤثرة، تسعى لتهذيب الخلق والارتقاء به، مما يحقق ذلك التوافق النفسي للفرد ورضاه عن نفسه، وبالتالي يكون هناك توافق اجتماعي من خلال تعامل الأفراد بعضهم مع بعض وحب العمل، وفتح باب الأمل والرجاء .

ولقد أدرك علماء البلاغة منذ القدم مدى خطر الإفحاش في اللفظ على اللغة العربية مع سرعة انتشارها بين الناس، يقول الجاحظ: " اعلموا أن المعنى الحقير الدنيء الساقط، يعشش في القلب ثم يبيض ثم يفرخ، فإذا ضرب بجرانه ومكن لعروقه استفحل الفساد وبزل، وتمكن الجهل وقرّح فعند ذلك يقوى داؤه، ويمتنع دواؤه؛ لأن اللفظ الهجين الرديء المستكره الغبي أعلق باللسان، وآلف للسمع، وأشد التحاماً بالقلب من اللفظ النبيه، والمعنى الكريم ...؛ لأن الفساد أسرع إلى الناس، وأشد التحاماً بالطبائع، والإنسان بالتعلم والتكلف " [(١)] .

والخطاب النبوي من أرقى أنواع الخطاب البشري ، وفيه إشارات بيانية ذات أهمية بالغة في تحقيق التوافق النفسي والاجتماعي لمتلقيه، وقد استخدم النبي(ﷺ) فيه أساليب متنوعة ترقى بالسلوك واللغة ، وهذا بدوره يؤدي إلى رقي

---

(١) بزل: بلغ سن البزول وهو التاسعة ، وقرّح: بلغ سن القروح، والقارح من ذي الحافر بمنزلة البازل من الإبل كنى بها عن القوة. ينظر: البيان والتبيين للجاحظ، تح: عبد السلام هارون: ٨٥/١، دار الجيل، بيروت .

الخطاب اليومي للمسلم، وتهذيب أساليبه، وتأتي أهمية هذه الدراسة وشرفها من كونها بحثاً في المصدر الثاني للتشريع ؛ فشرف الدراسة يأتي من شرف المتناول، ولا يوجد أحلى وأبهى من خطابه (ﷺ) بعد الخطاب القرآني؛ لأن الحديث النبوي هو الأصل الثاني للغة العربية بعد – القرآن الكريم –؛ لما تميز به من جودة اللغة ، ودقة استخدام الأساليب في موضعها مع تحقيق جميع الغايات، " فكان (ﷺ) لا يشق عليه منزع، ولا يعتريه ما يعتري البلغاء في وجوه الخطاب، وفنون الأقاويل من التخاذل، وتراجع الطبع، وتفاوت ما بين العبارة والعبارة، .. والعلو في موضع والنزول في موضع ..، وكأنما وضع يده على قلب اللغة ينبض تحت أصابعه " (١) .

كما نستطيع التسليم بأهمية الحديث النبوي في كونه " فضاء تواصلي بوصفه حجة نبرهن بها على قضايا كثيرة تصادفنا في حياتنا اليومية المتمثلة في لغته للوصول إلى أهدافه في تبليغ الرسالة .. وما يتفرع عن قواعد الخطاب، وبين الحديث النبوي وأبعاده التواصلية : كيف يتكلم، مع من يتكلم، ماذا يريد أن يقول"(٢).

وكل هذا تطلب من الرسول (ﷺ) أن " يبذل قصارى جهده للتأثير في المخاطب لغرس العقيدة والمعارف والقيم الممدوحة؛ ولتغيير العقيدة والأفكار والممارسات المذمومة، وهذا يتطلب منه معرفة المدعو وليتعامل معه بالقدر الذي

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعي صـ١٩٧، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان ١٤٣٢هـ ٢٠١١م .

(٢) أسلوب الاستفهام في الأحاديث النبوية في رياض الصالحين دراسة نحوية بلاغية تداولية صـ٢ رسالة ماجستير للباحث: ناغش عيدة ، جامعة مولود معمري، كلية الآداب واللغات ٢٠١٢م .

يناسبه وتقتضيه حاله " [١] .

وقد أتى ذلك بثماره المرجوة من تحقيق التوافق النفسي للفرد؛ لأنه قام بتلبية حاجاته الروحية والجسدية، مما جعله يفعل الشيء وهو راضٍ عن نفسه، كما حققت له التوافق الاجتماعي؛ لأنها أثرت عليه في سلوكه وتعامله مع الناس على مبدأ الحب والتواد، وتعامل الأفراد مع بعضهم بدون سخرية.

ولذلك كله جاءت دراستي بعنوان: " **بلاغة الخطاب النبوي وأثرها في تحقيق التوافق النفسي والاجتماعي** " وكان من أسباب دراسة هذا الموضوع أسباب منها:

١- انتشار اللغة العامية والسوقية المبتذلة في خطاباتنا اليومية، وتدني الأخلاق، وشدة الإغراب عن الهوية العربية مع تقليد الغرب في طغيان الماديات على الروحانيات .

٢- المفارقة بين سلوكيات الأفراد والتمايز بين من يتمسك بالقيم الأخلاقية، والتأثر بالخطاب النبوي عن غيره ممن لا يتمسك بذلك .

٣- قلة الدراسات المتناولة لأدب الخطاب النبوي، وأثره على التوافق النفسي والاجتماعي .

٤- كان النبي (ﷺ) في أحاديثه وخطابه يراعي الفروق الفردية، فكان يخاطب كلاً بما يلائم حالته سواء النفسية أو الاجتماعية أو العمرية أو السلوكية، بما يحقق ذلك القبول والرضا في نفوس متلقيه وقارئيه في كل زمان ومكان .

٥- اتخاذ خطاب الرسول (ﷺ) في أحاديثه أسلوباً تعليمياً، وأداة لتواصل المجتمع مع أفراده، لقدرته على تقويم الأخطاء، والرقي بالأخلاق الإسلامية السمحة، مما يؤدي بهذا إلى العيش في جو آمن، خالي من الجريمة والرذيلة، مع تنمية روح الاعتزاز بالدفاع عن الوطن .

---

(١) رعاية حال المخاطب في أحاديث الصحيحين دراسة بلاغية تحليلية، د. يوسف العليوي صـ٨، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م .

وقد اقتضت طبيعة الدراسة أن تأتي في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث ثم خاتمة، ثم ذكر لأهم المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات .

أما **المقدمة** : فبينت فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره وخطته ومنهج دراسته.

وأما **التمهيد** : فجاء بعنوان: الخطاب النبوي أساليبه البيانية وقيمه الاجتماعية .

وسوف يتضمن التمهيد ما يلي:

أولاً : الخطاب النبوي المفهوم والدلالة .

ثانياً: أثر الأسلوب البياني النبوي في تحقيق بعض القيم الاجتماعية .

المبحث الأول: أساليب الترغيب والترهيب وأثرها في تحقيقه التوافق النفسي والاجتماعي .

المبحث الثاني: أسلوب العرض والتحضيض وأثره في تحقيق التوافق النفسي والاجتماعي .

المبحث الثالث: أسلوب الحوار وأثره في تحقيق التوافق النفسي والاجتماعي .

الخاتمة : ذكرت فيها ملخص البحث وأهم نتائجه.

واقتضت طبيعة هذه الدراسة منهجاً خاصاً فهي تعتمد على المنهج الانتقائي التحليلي الذي اعتمد على الآتي:

١-اختيار بعض الأحاديث النبوية القولية فقط دون التطرق إلى أفعاله (ﷺ) أو إقراره لكثرة ذلك وسعته .

٢-اعتمدت على اختيار مجموعة ونماذج حديثية مما نحن بحاجة ماسة إليها الآن في حياتنا اليومية، والتي وُجِدَ فيها الحل الأمثل لما نعانيه من مشكلات سواء اقتصادية أو اجتماعية أو نفسية أو سلوكية وأخلاقية .

٣-اعتمدت في تخريج الأحاديث المختارة على الكتب الستة .

٤-قمت ببيان الوسائل التعبيرية المتنوعة التي استخدمها الرسول (ﷺ) في خطابه

الحديثي، ومدى فاعلية تلك الوسائل وتمكنها، وتأثيرها على تحقيق التوافق النفسي والاجتماعي .

٥-ربطت بين بلاغة خطاب النبي (ﷺ) وما استنتجه علماء النفس في العصر الحديث، ومدى فاعليته وأثره الإيجابي في وسائل التربية الحديثة .

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

التمهيد

الخطاب النبوي أساليبه البيانية وقيمه الاجتماعية

أولاً: الخطاب النبوي المفهوم والدلالة:

ورد الخطاب في اللغة بمعنى: المراجعة في الكلام، يقول صاحب اللسان: الخطابُ والمُخَاطبة مراجعة الكلام الأول، وقد خاطب بالكلام مُخاطبة وخِطاباً وهما يتخاطبان " [١] .

وورد في أساس البلاغة بمعنى: " المواجهة بالكلام " [٢] .

وأياً ما كان من معنى الخطاب في اللغة، فهو يدور حول الكلام الملفوظ به الذي يدور بين طرفين مخاطِب ومخاطَب، ورسالة يتم توصيلها بين مرسِل ومرسَل إليه أو متكلم ومتلقي ، فالخطاب وسيلة لتواصل الناس وتعارفهم، كما أن الخطاب يحدد ويكشف عن شخصية قائله، ويكشف عن دفائنه ومكنوناته الداخلية، مصداقاً لقول الإمام علي كرم الله وجهه " المرء مخبوء تحت لسانه إذا تكلم ظهر "[٣].

وصدق الشاعر إذ يقول [٤]:

وَكائِن تَرَى مِنْ صَامِت لَك مُعْجَبٌ ∴ زِيادَتُهُ أَو نَقصُهُ في التَكَلُّمِ

لِسانُ الفَتَى نِصفٌ وَنِصفٌ فُؤاده ∴ فَلَم يَبقَ إِلّا صورَةُ اللَحمِ وَالدَمِ

وفي الاصطلاح هو: عقد كلام بين متحدث ومتكلم، وسامع يكون الكلام صادراً من الأول إلى الآخرين، وكلما كان الخطاب بليغاً راعي أحوال المخاطبين

---

(١) لسان العرب لابن منظور، دار الحديث، القاهرة ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م، مادة (خطب) .

(٢) أساس البلاغة للزمخشري تح/د. عبد الرحيم محمود، دار المعرفة – بيروت – لبنان، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، مادة (خطب) .

(٣) التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ لمحمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني(المتوفى: ١١٨٢هـ) تحقيق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم ، الناشر: مكتبة دار السلام، الرياض ، ط الأولى، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م.

(٤) ديوان زهير بن أبي سلمى – دار صادر – بيروت، صـ٨٨، ٨٩ .

وكان مؤثراً فيهم " [١] .

وتبدو قيمة الخطاب في كونها تعكس قيماً وخبرات معينة للمخاطب .. ويريد صاحب الخطاب فرضها، وتوجيه المتلقي إلى التسليم بها .. وقد تحمل مفردات الخطاب إيحاءات إيجابية أو سلبية تبعاً للمجال الدلالي الذي تنتمي إليه[٢] .

ولكن يتبادر لنا سؤال هو متى يُحكم على الخطاب بكونه بليغاً ؟ نقول حينما يراعي المتكلم مقتضى الحال، فهو مقياس القوة أو الضعف وقد عرفت البلاغة بأنها: مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته [٣] .

أما إذا نظرنا إلى خِطابنا المعاصر الذي كان عماده اللغة فإننا نجد تدنياً في مستوى اللغة التي هي ركيزة أي خطاب؛ لأن إصابة تلك اللغة لا يقتصر خطرها على المنطق الإنساني فقط، بل يتعداه إلى التأثير في القلب والوجدان، ولقد صور ذلك العقاد فقال: " من واجب القارئ العربي إلى جانب غيرته على لغته أن يذكر أنه لا يطالب بحماية ما يصيب هذه الأداة العالمية من أدوات النطق الإنساني ...؛ لأن السهم في هذه الرمية يسدد إلى القلب، ولا يقف عند الفهم واللسان " [٤] .

والخطاب النبوي هو: " مجموعة الأوامر والنواهي والنصائح والإرشادات التي يتم توصيلها بغرض الإقناع فيما رغَّب فيه أو نفَّر عنه، " فيلتزم الأوامر

---

(١) الإعجاز في نص الخطاب القرآني للباحث: عصام العبد زهد، صـ١٢، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .

(٢) من تحليل الخطاب إلى التحليل النقدي للخطاب للباحث: محمد لطفي الزليطني، صـ١٤، بحث منشور بمجلة المخبر بجامعة مولود معمري ، تيزي أوزو- الجزائر، العدد ١٧، ٢٠١٤م.

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، تعليق د. عبد المنعم خفاجي ٤١/٢، دار الجيل - بيروت، ط (د - ت) .

(٤) اللغة الشاعرة لعباس العقاد، صـ٦، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٥م .

ويجتنب النواهي، ويعزم على نفع الآخرين بأي صورة ممكنة " (١) .

فما أحوجنا إلى خطاب الرسول (ﷺ) في أيامنا هذه، لرقيه وتهذيبه ولينه، وشفافيته فهو يستحوذ على قلوب سامعيه ومخاطبيه في كل زمان ومكان، وهو صالح لجميع الخلق – كالخطاب القرآني – على اختلاف أجناسهم وألوانهم .

وخطاب الرسول (ﷺ) كان سبباً في تجميع القلوب، وتوحيد الصفوف { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ } (٢) .

يقول الجاحظ: " الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان " (٣) .

وكان (ﷺ) يحرص على الرفق في خطابه فكان يقول: " ومن يحرم الرفق يحرم الخير" (٤)

كما كان في خطابه إشباع لكثير من حاجات البشر، وقد يجد فيه علاجاً لمشكلة عنده، كما يجد ما يطمح إلى تحقيقه في الشخصية الإنسانية .

والنماذج التي يعرضها الرسول (ﷺ) ليست نماذج نظرية، وإنما هي مواقف عملية فيها النقاء الخُلقي، وحسن التصرف، وجمال السلوك مما يصنع من الشخص امرءاً قوياً ... وتوجيهه نحو المسار الخلقي الصحيح، وأن تحميه من مسالك الفساد

---

(١) في ظلال السنة، قراءة فكرية أدبية تستشرف الفقه الحضاري للسنة النبوية في مختلف جوانب الحياة الإنسانية وقضاياها الاستراتيجية د. محمد رفعت زنجير صـ١١٦، دمشق – سوريا – اقرأ للطباعة والنشر، ٢٠٠٣م .

(٢) سورة: آل عمران، آية [١٥٥] .

(٣) البيان والتبيين ٨٣/١، ٨٤ .

(٤) شرح صحيح مسلم للقاضي عياض بن موسى ت ٥٤٤، تح: يحيى إسماعيل ٦٤/٨، دار الوفاء، ط١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، فتح الباري لابن حجر تح: أحمد فؤاد عبد الباقي، ٤٤٩/١٠، دار المعرفة – بيروت ١٩٧٩م .

وضروب الانحراف " [١] .

ولذلك فتأثير الخطاب النبوي كان قوياً لامتلاكه(ﷺ) ناصية اللغة ، ولصفاء نفسه، ولتأدبه بأدب كتاب الله الكريم حيث يقول: " أدبني ربي فأحسن تأديبي " [٢] .

وفي ذلك يقول ابن كثير: يأمر الله – تعالى – عبده ورسوله (ﷺ) أن يأمر عباده المؤمنين أن يقولوا في مخاطبتهم ومحاورتهم الكلام الأحسن، والكلمة الطيبة فإنهم إن لم يفعلوا ذلك ينزغ الشيطان بينهم، وأخرج الكلام إلى الفعال، ووقع الشر والمخاصمة والمقاتلة " [٣] .

وكان الرسول (ﷺ) يراعي في خطابه عدة أشياء وهي لازمة له أبداً:

١-مراعاة حال المخاطبين فكان يخاطب كلاً بما يلائم حالته، سواء النفسية أو العمرية، أو الثقافية أو الدينية أو السلوكية وغيرها، فكان يخاطب الناس على قدر عقولهم .

٢- سياق المقام: أي البيئة التفاعلية بين المتحدث والمخاطب وما بينهما من عُرف سائد يحدد مدلولات الكلام، وذلك أن تداول الخطاب يجري في سياق ثقافي واجتماعي بين المتحدث والمخاطب، وليس لفظاً مجرداً عن محيطه الذي يجري فيه [٤].

٣-توصية كل شخص بما يلائم حالته وطبيعة النفس البشرية، فخطابه الذي يوصي

---

(١) السنة النبوية رؤية تربوية د. سعيد إسماعيل علي صـ٥١٣، دار الفكر العربي، ط١، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م .

(٢) ينظر: التيسير بشرح الجامع الصغير لزين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج المناوي ت ١٣١هـ: ٥٣/١، مطبعة الإمام الشافعي – الرياض، ط٣، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير الدمشقي، حققه د. مصطفى السيد محمد وآخرون مح ٢٣٣/٣، مكتبة قرطبة للطبع والنشر والتوزيع – مكتبة أولاد الشيخ للتراث، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م .

(٤) دلالة السياق وأثرها في فهم الحديث النبوي، د. عبد المحسن التخيفى، صـ٤، (د – ط – ت) .

به الغضوب غير توصيته للمرأة .. وهكذا.

٤- اختيار الوسائل التعبيرية والبلاغية الملائمة لحال المخاطبين والتي توظف لتحقيق الغرض والأثر المرجو منه .

ثانياً: أثر الأسلوب البياني النبوي في تحقيق بعض القيم الاجتماعية:

الخطاب النبوي عند النبي (ﷺ) لم يكن مجرد إجراء؛ وذلك لأن خطابه لم ينبثق إلا عن موضوعه، وتوافق فيه الشكل مع المضمون، فلم يكن مقتصراً على مجرد حلية لفظية ليس تحتها كثير معنى، وهذا ما قرره الدكتور صلاح فضل في كتابه بلاغة الخطاب [١] .

فلا نجد في خطاب الرسول (ﷺ) عدم ملاءمة بين الأسلوب والموضوع، ولا انفصالاً بين الشكل والمضمون .

وقد كان الإيجاز أيضاً من أهم آليات الخطاب النبوي لمعرفته(ﷺ) بدلالة المفردات، وإدراكه الواعي لأحوال المخاطبين [٢] .

يقول أبو هلال العسكري عن بلاغة الإيجاز في كلامه (ﷺ): " ... فمعاني هذا الكلام أكثر من ألفاظه، وإذا أردت أن تعرف صحة ذلك فحُلَّها وابْنِها بناء آخر فإنك تجدها في أضعاف هذه الألفاظ " [٣] .

وقد أثَّر ذلك في الخطاب النبوي ، وجعله خطاباً مقنعاً مؤثراً على المدى القريب والبعيد على السواء .

وكانت آليات وأساليب الخطاب النبوي غنية بالمعاني اللطيفة والإثارة

---

(١) بلاغة الخطاب وعلم النص د. صلاح فضل صـ٧٩، عالم المعرفة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

(٢) الحديث النبوي، مصطلحه، بلاغته، كتبه، محمد بن لطفي الصباغ، صـ٩١، المكتب الإسلامي، ط ٦، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .

(٣) كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري تح: علي محمد البيجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم صـ١٧٨، المكتبة العصرية - بيروت ١٤١٩هـ .

والإقناع، وتحقيق الإيجابية في نفسية متلقيه، ولذلك نوَّع الرسول (ﷺ) في تلك الوسائل التعبيرية، بما يلائم حالة المتلقي وطبيعته النفسية، فاستخدم أساليب الحوار، والاستفهام، والتشويق والتعزيز، والتكرار، والتقابل، والشرط والجزاء، والأوامر والنواهي، والترغيب والترهيب، وغيرها.

وكان الهدف من هذا التنويع في خطابه أن يكون شاملاً وعاماً لكل مخاطب ومتلقي بحسب حالته وطبيعته، وتحقيق تفاعله مع هذا الخطاب أو ذاك، وقد ساعده على كل ذلك امتلاكه لناصية اللغة، ومعرفة قوالبها وتراكيبها، ومعرفة دلالات المفردات وإيحاءاتها، وتأثره بالقرآن الكريم .

فاستطاع عن طريق كل هذه الآليات أن يحقق بخطابه في أحاديثه النبوية الهدف المرجو من الاستمالة والإقناع، والقدرة على الإثارة وتقويم الأخطاء والسلوك، وتلقي هذا الخطاب بأريحية تامة من المتلقي، ولطف موقعه في قلبه، مما جعله متلقياً ليس فقط مقتنعاً، بل هيأه إلى تطبيق أوامره واجتناب نواهيه، مع التصديق والإذعان .

أما مفهوم التوافق النفسي فقد عرَّفه علماء النفس بأنه: عبارة عن كون الفرد " راضياً عن نفسه وأن تخلو حياته النفسية من الصراعات النفسية والتوتر، والتي ترتبط بمشاعر الذنب والقلق والنقص " (١) .

وبذلك يُعطَي الشخص القدرة على مواجهة مشكلات الحياة، والتصدي للأزمات بكل قوة وإيمان .

وقد راعى الرسول (ﷺ) في خطابه تحقيق التوافق النفسي للفرد المسلم بمراعاة أحوال النفس، وتقويتها بالتصدي للمغريات، وتحقيق التناسق والتوازن بين المشاعر والأفكار، وإشباع حاجات النفس الروحية والجسدية؛ لأن النفس إن لم تتحكم في مشاعرها وأفكارها انجرفت وانفرطت كحبات العقد المنفرط، بحيث لا

---

(١) السلوك الإنساني بين التفسير وأسس علم النفس المعاصر د. عبد المجيد سيد أحمد منصور وآخرون صـ٣٥، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، " د – ت " .

يمكن لم شتاتها، يقول الشيخ الغزالي عن قيمة التوافق النفسي، وأثره على تقوية إرادة الإنسان وتفاؤلها، وتحقيق الأمن النفسي لها: " تجدد الحياة ينبع قبل كل شيء من داخل النفس، والرجل المقبل على الدنيا بعزيمة وبصبر، لا تخضعه الظروف المحيطة به مهما ساءت ولا تصرفه وفق هواها، إنه هو الذي يستفيد منها ويحتفظ بخصائصه أمامها، كبذور الأزهار التي تطمر تحت أكوام السبخ ، فهي التي تشق الطريق إلى أعلى مستقبلة ضوء الشمس برائحتها المنعشة، إنه بقواه الكامنة وملكاته المدفونة فيه، والفرص المتاحة أو التافهة المتاحة يستطيع أن يبني حياته من جديد " (١) .

ثم يشير بعد ذلك إلى الآثار السلبية لسوء التوافق النفسي فيقول: " النفس الإنسانية إذا تقطعت أواصرها ولم يربطها نظام ينسق شئونها، ويركز قواها أصبحت مشاعرها وأفكارها كهذه الحبات المنفرطة السائبة لا خير فيها ولا حركة لها " (٢) .

أما التوافق الاجتماعي فهو: أن يعيش الفرد في وسط اجتماعي ويربط بين الأفراد نمط ثقافي معين، كما أن سلوك الأفراد يتم وفق مجموعة من النظم والعادات والقيم التي تضبط سلوكهم (٣) .

أو يمكن تعريف التوافق النفسي والاجتماعي بأنه: عملية دينامية، وظيفية تهدف إلى تحقيق التوازن، والتلاؤم بين جوانب السلوك الداخلية والخارجية للفرد بما يساعد الفرد على حل الصراعات بين القوى المختلفة داخله، وكذلك يبين القوى الذاتية للفرد، والقوى البيئية الخارجية مما يحقق التوازن، بل يتخطى ذلك إلى الجوانب الايجابية لتحقيق الذات والرضا عنها، وتحقيق الثقة بالنفس، والاتزان

---

(١) جدد حياتك للشيخ الغزالي صـ١٦، الدار القومية للطباعة والنشر، " د – ت " .

(٢) المرجع السابق صـ٢٠ .

(٣) السلوك الإنساني بين التفسير وأسس علم النفس صـ٣٥ " بتصرف " .

الانفعالي للفرد مع الإيجابية، والمرونة في التعامل مع المجتمع من حوله [١] .

ولقد أتى الخطاب النبوي مركزاً على الأساليب التي تحقق التوافق النفسي والاجتماعي، وذلك بأن تكون العلاقة بين أفراد المجتمع قائمة على المحبة والتعاون، والتواد .

وسأتناول في مباحث هذه الدراسة بلاغة الخطاب في الحديث النبوي، و الوسائل التعبيرية المهمة، والخصائص البلاغية التي استعان بها الرسول (ﷺ) في خطابه، والتي أثرت في المتلقي بحسب حالته وخصائصه النفسية، ومخاطبته من حيث هو إنسان، مما اقتضى منه ذلك ألا يسير على وتيرة واحدة في خطابه، بل نوَّع وأجاد، وأحياناً كان يستخدم أكثر من لون بلاغي في الحديث الواحد، وذلك حينما يشعر بأهمية تحقيق التوافق النفسي والاجتماعي للفرد ، وهذا ما سوف يتضح لنا ويتكشف من خلال مباحث هذه الدراسة .

(١) مقياس التوافق النفسي والاجتماعي لمتحدي الإعاقة سمعياً وبصرياً وحركياً وسلوكياً، انفعالياً تربوياً د. زينب شقير صـ٤، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية .

المبحث الأول

أساليب الترغيب والترهيب وأثرها في تحقيق التوافق النفسي والاجتماعي

استخدم الرسول (ﷺ) أساليب الترغيب والترهيب في خطابه لا لمجرد التشريع فقط، بل راعى فيها المقام، فأراد بالترغيب والترهيب مخاطبة النفس وما فيه صلاح لها، وكان للترغيب بالأوامر أو النواهي أثر في تثبيت الدعوة إلى الله حثاً على الخير والترغيب فيه، وزجراً عن الشر وتنفيراً عنه ... فأي أسلوب إنشائي سواء كان أمراً أو غيره يفيد مجموعة من المعاني المتقاربة المتداخلة يثيرها الأسلوب في النفس المتلقية، وهي معان شعورية أو نفسية (١) .

ولم يقتصر الترغيب والترهيب على الأوامر والنواهي فقط، بل يمكن أن يدخل فيه أساليب من نحو: الاستفهام، الحوار، والشرط والجزاء ... إلخ .

وكان غرضه (ﷺ) من كل ذلك هو تهيئة المخاطب وشد انتباهه لتنفيذ ما يراد منه سواء كانت أوامر محببة إلى نفسه، أو نواه قصد بها تخويفه من عادات سيئة يجب اجتنابها لضررها فينفره منها .

ولم يأت الترغيب في الخطاب النبوي منفرداً دون الترهيب، بل استخدم(ﷺ) كلا الأسلوبين على حد سواء .

ومن شأن ذلك " إثارة الدافع، وتوجيهه إلى الهدف المطلوب دون أن يضعف من شدة الإفراط في الأمل أو الإفراط في اليأس، فالترغيب في ثواب الله، يعمل على تبديد اليأس من رحمته، والترهيب من عقاب الله تعالى، يعمل على تبديد التواكل على التمني في رحمته " (٢) .

وسوف أتعرض هنا لأربع صور من الهدي النبوي برز فيها الترغيب والترهيب بأساليبه المتنوعة .

---

(١) أساليب الأمر والنهي في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية د. يوسف عبد الله الأنصاري صـ٣، ١٢، " بتصرف " ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م " د - ط " .

(٢) الحديث النبوي وعلم النفس صـ١٧٣ .

أ- حديث الترغيب في الزواج:

عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء " [١] .

يُعد الشباب هم عماد الأمة، وسر قوتها، فمرحلة الشباب تبدأ " بظهور علامات البلوغ، ويصحبها قدرة على المشاركة والتعارف مع الغير، كما أن من سماتها وخصائصها اكتمال القوة البدنية والنفسية، ونضج القوة العقلية إلى حد كبير، ثم ظهور بعض الرغبات في تحقيق، وإشباع غريزة التناسل " [٢] مما قد يؤدي بالشباب إلى إطلاق النظر إلى المحرمات، والتحرش، وربما أدى هذا إلى الزنا والانحراف الخلقي، وضعفه أمام المغريات من خلال الاحتكاك بالمؤثرات الخارجية، وإلحاح الغرائز الداخلية التي تثور في نفسه، مما تجعله غير منضبط في مشاعره وأفكاره فيصبح كحبات العقد المنفرط لا خير فيها ولا حركة [٣].

---

(١) صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري تح: محمد زهير ناصر، ٣/٧ رقمه ٥٠٦٦، طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢هـ .

صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري تح: محمد فؤاد عبد الباقي ١٠١٨/٣، رقمه ١٤٠٠، دار إحياء التراث العربي – بيروت (د – ت) .

أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب من لم يستطع الباءة فليصم ٣/٧ رقم ٥٠٦٦، ومسلم في صحيحه كتاب النكاح باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ووجد مؤنة، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم ١٠١٨/٣ رقم ١٤٠٠، وأبو داود في سننه ٢١٩/٣ رقم ٢٠٤٦، والترمذي في سننه ٣٨٤/٣ رقم ١٠٨١ .

سنن الترمذي للترمذي تح: أحمد محمد شاكر ٣٨٤/٣ رقم ١٠٨١، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م .

(٢) علم النفس الديني د. رشاد علي عبد العزيز موسى وآخرون صـ٦٣، مؤسسة المختار للنشر وتوزيع الكتاب، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م .

(٣) جدد حياتك للشيخ الغزالي صـ١٦ " بتصرف " .

لكل هذا أدرك الرسول (ﷺ) خطورة ذلك على الشباب فأراد أن يضع لهم الحل لهذه المشكلة من خلال وجود أداة لتنظيم المشاعر والعواطف على نحو ينشئ الفضيلة، ويدعم الأخوة أو على نحو ينفي الرذيلة ويمحق الأثرة " [١] .

هذا العلاج من النبي (ﷺ) في خطابه الحديثي حقق إيجاد تغيير وضبط لهذه العشوائية في عدم التوازن بين حاجات الجسم البدنية والجوانب الروحية والقيمية، وإيجاد إشباع لتلك الحاجات الجسدية بالطريق الحلال وهو النكاح والزواج .

وقد اعتمد النبي (ﷺ) في خطابه على الأساليب التي ساعدته على إحداث ذلك التغيير بعدة وسائل منها:-

الإغراء والتعزيز والتهيئة من خلال استهلال خطابه بحرف النداء (يا)؛ لأن " الأصل في الخطاب أن يبدأ المتكلم بالنداء تنبيهاً للمخاطب أن يصغي إليه إذا كان الأمر ذا بال، ولذا غلب أن يلي النداء الأمر " [٢] .

كما أن في النداء إغراء للشباب لما يأتي بعد هذا النداء [٣]، وهو حث الشباب على النكاح، وإغراؤه وحثه على ملازمة الزواج وتنفيذه وعدم تأجيله[٤] .

وتأتي دقة الرسول (ﷺ) في اختياره لـ " يا " دون غيرها من حروف النداء؛ لكونها أبلغ أدوات النداء، ولأنها الأداة الوحيدة التي يمكن أن تصلح لجميع مستويات الخطاب البعيد والقريب، ولأنها توحد الشعور بين المخاطِب والمخاطَب، فيشعر بالمكانة والبعد، ولما فيها من الطول في الصوت الذي يهيئ السامع لتنفيذ ما جاء بعدها من أمر أو نهي، وهذا لا يوجد في أي والهمزة [٥] .

---

(١) جدد حياتك صـ١٦ .

(٢) مراعاة حال المخاطبين في أحاديث الصحيحين صـ٣٧٧ .

(٣) شروح بالتخليص: ٣٣٤/٢ .

(٤) معاني التراكيب د. عبد الفتاح لاشين ١٢٠/٢ " بتصرف " المطبعة الإسلامية الحديثة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

(٥) الإعجاز في نص الخطاب القرآني صـ١٢ " بتصرف " .

وربما يأتي تساؤل هنا لماذا نادى الرسول (ﷺ) الشباب بـ " يا " وهي للبعيد رغم قرب الشباب ووجودهم أمامه ؟ والجواب أن هذا يُعد من باب المجاز أي لبعد منزلتهم ومكانتهم [١] " فينزل بعد المنزلة بعد المكان " [٢] .

وهذا يدل على عموم الخطاب جميع الشباب سواء كانوا شباب الصحابة أو شباب الأمة الإسلامية جميعاً، وقد أفاد الامتداد الصوتي في " يا " شمول جميع الشباب ثم يأتي بعد ذلك مراعاة النبي (ﷺ) لنوع المنادى، وهو نداؤه للشباب ووصفهم بذلك، وذلك لأن " الغالب وجود قوة الداعي فيهم إلى النكاح " [٣] .

ثم أتى النبي (ﷺ) بأسلوب تعزيزي آخر بعد تهيئة الشباب في خطابه، ، وهو " الشرط والجواب " وذلك لأن أسلوب الشرط محبب إلى الإنسان، ويكثر تداوله بين الناس للتوثيق، وفيه نوع من التحفيز والتشويق،

واختار الرسول (ﷺ) (من) دون غيرها؛ لأنها لا تدل على زمن معين معروف البداية والمقدار، وهذا يوحي بمدى معرفة الرسول (ﷺ) للفروق الفردية والبيولوجية بين الأشخاص .

والشرط من شأنه أن يأتي بمقدمة تنتظر النتيجة ، فيعد هذا من أساليب التشويق، وطرق الارتباط بين فقرات الخطاب وتناسقه وتسلسله، وارتباط السابق باللاحق ، وقد استعان به الرسول (ﷺ) في مساعدة الشباب على " السيطرة وضبط النفس على التحكم " [٤] .

فيعد كل هذا إغراء وحثاً للشباب على الزواج، وبعد هذا التشويق والتهيئة، والحث على الإصغاء والترقب للجواب والنتيجة جاء قوله: " فليتزوج " التي هي

---

(١) حاشية الدسوقي ٣٣٤/٢، " ضمن شروح التلخيص " دار البصائر، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

(٢) معاني التراكيب، د. عبد الفتاح لاشين ١١٨/٢.

(٣) الترغيب والترهيب ٤٠/٣، عمدة القارئ ٦٨/٢٠

(٤) أسلوب الشرط في خطب العرب ووصاياهم صـ١٩٧ .

بؤرة الخطاب الرئيسية، والعلاج الشافي، واقترن الأمر بفاء الجواب؛ لما في ذلك من التأثير الإيجابي على الشباب، والترغيب في القيام بما يطلب منهم على وجه الفور، فلا يترددون في ذلك؛ لأن في النكاح إشباعاً لحاجاتهم الغريزية؛ لأن الأصل في الشباب " أن يشبع رغبته لا أن يحسم مادتها، وأن الزواج هو الذي يشبع هذه الرغبة، فإذا بلغ الزواج فعليه أن يعجل به، ويبادر إليه، كما أفاد التأكيد عليه ولذلك جاء مقروناً بالفاء"(١).

وإتيان الرسول (ﷺ) للإغراء ترغيباً في الزواج بعد أسلوب النداء، لتقوية الأمر بالزواج، والترغيب في ذلك الشيء المأمور به في خطابه، ولذلك قيل: إن مجيء الأمر بعد النداء يقويه ويزيد من أثره، " فالنداء يوقظ النفس ويلفت الذهن؛ لأنه طلب ودعاء، فإذا ما جاء الأمر صادف نفساً مهيأة يقظة فيقع منها موقع الإصابة حيث تتلقاه بحس واع، وذهن منتبه، وهذا دليل على عناية الآمر بأمره ورغبته في إعداد النفوس لتلقيه ..، وأن النداء يصحب الأمر غالباً، وكأنه إعداد النفس لهما " (٢) .

وهذا الأمر لا يقلل من شأنه أنه أمر ندب لا إيجاب، فيبعث على التكاسل في تنفيذه، ومن هنا كان الرسول (ﷺ) يحرص على تنفيذه عند توفر القدرة على النكاح، سواء بالقدرة على الجماع أو مؤن النكاح (٣)، والتكاسل وتأجيل هذا الأمر ربما أدى إلى ضعفه، وعجزه في المستقبل .

وبذلك الجواب وصيغة الأمر استطاع النبي (ﷺ) في خطابه التواصلي أن يغير الشباب من موقف سلبي إلى موقف إيجابي عن طريق أمرهم بشيء محبب وحمايتهم من الانحراف والانفلات في الرذائل والموبقات، فيكون شخصاً سوياً

---

(١) رعاية حال المخاطب في أحاديث الصحيحين صـ١١٧ .

(٢) دلالات التراكيب، دراسة بلاغية محمد محمد أبو موسى صـ٢٦٢، مكتبة وهبة ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

(٣) عمدة القارئ ٦٨/٢ .

مسئولاً، لأن سوء التوافق يجعله " كسولاً أو متردداً في تقبل المسئولية وتحمله لها " (١) .

وعند عدم توفر مؤن النكاح أوجد لهم النبي(ﷺ) العلاج في خطابه بأمره بالصوم فقال: " فعليه بالصوم "؛ لأن الصوم يدعو إلى " ضبط تلك الغريزة وتأجيلها بالتحكم لا قتلها " (٢) .

فانظر إلى الانسجام والترابط في الخطاب النبوي وفق الأولويات، فالأولى والمهم هو تحقيق وإشباع رغبة الزواج عند الشباب، والأدنى والأقل هو تأجيلها، والتحكم في حدة هذه الحاجة، ولذلك غاير النبي (ﷺ) في أسلوبه وخطابه، فعبر باسم فعل الأمر في قوله " فعليه " لإفادة الملازمة والإغراء عليه أي: فيلازم الصوم والعبادة لله؛ لأن في ذلك وقاية من الانحراف، وتقوية لعبادته، وكأن الأمر بالزواج ثم تأجيله بالصوم يشد أحدهما حجز الآخر ويعضده أن كليهما يؤدي إلى قوة العبادة .

إن الأساليب البلاغية في هذا الحديث سواء النداء، أو الشرط والجواب، أو الأمر، أو التكرار، حقق التوافق النفسي والاجتماعي للشباب بأن شجع على: " إشباع مطالب البدن والروح بتوسط واعتدال بدون غلو أو إسراف، فليس في الإسلام رهبانية مطلقة لتسمح بالإشباع المطلق للدوافع البدنية دون تحكم وضبط ..، إنما الإسلام ينادي بالتوفيق بين حاجات كل من البدن والروح، واتباع طريق وسط بين الجانبين المادي والروحي في الإنسان وحب الشريك والابتعاد مما يؤذي الناس كالزنا واختلاط الأنساب، وانتشار الرذيلة في المجتمع " (٣).

ولذلك نجد النبي (ﷺ) يعلل الأمر بالزواج فيقول: " فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج " وهو علة الأوامر السابقة فيتحقق بذلك الأمن النفسي والتوافق

---

(١) علم النفس الديني صـ٣٢٣ .

(٢) جماليات المفردة القرآنية أحمد ياسوف صـ٢٥٩، دار المكتبي، ط، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .

(٣) الحديث النبوي وعلم النفس د. محمد عثمان نجاتي صـ٢٧٧، دار الشروق .

الاجتماعي.

ب- **حديث حسن معاملة النساء:**

عن أبي هريرة (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ): " استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء " [١] .

أتى الخطاب النبوي في هذا الحديث بطريقة سياقية ولغوية وتعبيرية رائعة، تلائم طبيعة المتحدث عنهن من (النساء)، وكيفية التعامل معهن، وما هم بحاجة إليه، فلما كان المجتمع يعاني من التفكك الأسري، وتشريد الأسر، وكثرة حالات الطلاق العالية والمرتفعة في جميع الطبقات، وكان السبب الرئيس في ذلك هو غياب حسن التعامل بين الزوجين، ولذلك أورد الرسول (ﷺ) في خطابه جملاً ممتدة وطويلة؛ لتعبر عن حقيقة العلاقة بين الزوجين، وهي الاستمرار ودوام العشرة والمحبة، وحسن المعاملة، والعطف والحب والحنان .

وجاءت بداية الخطاب منسجمة ومترابطة مع بقية أجزاء النص والخطاب، وذلك من خلال إيراده لتعابير عامة في قوله: " استوصوا بالنساء "، وتكفلت باقي مقاطع الخطاب والنص في تخصيص ذلك العموم وإيضاحه، وهو حسن معاملة الزوجين في قوله: " وإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل فيه عوج استمتعت به " فتدَّرج الخطاب وتنامى حتى وصل إلى هذه البؤرة الرئيسية في الخطاب في قوله: " إن ذهبت ... إلخ " .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء ١٠٩١/٢، رقم (١٤٦٨)، والنسائي في السنن الكبرى ٢٥١/٨ رقم (٩٠٩٥)، والبيهقي في السنن الكبرى ٤٨٠/٧ رقم (١٤٧٣٣) وزاد مسلم وابن أبي شيبة والبيهقي (خيرا) .

وورد في سنن ابن ماجه بلفظ " ألا واستوصوا بالنساء خيراً، فإنما هن عوان عندكم ... إلخ سنن ابن ماجه تح: محمد فؤاد عبد الباقي رقمه ١٨٥١، ط: دار إحياء الكتب العربية – مطبعة عيسى البابي الحلبي .

وهذا ما أكد عليه الرازي (ت: ٦٠٦هـ) منذ القدم في كون الجملة الأولى هي الأساس في الخطاب وباقي الخطاب تبع لها، حيث يقول عن سورة الفاتحة بالنسبة لما يليها من السور: " هذه السورة مسماة بأم القرآن، فوجب كونها كالأصل والمعدن، وأن يكون غيرها كالجداول المتشعبة منه " (١) .

ثم انظر إلى افتتاح النبي (ﷺ) خطابه النبوي بالإيجاز الرائع في قوله:" استوصوا بالنساء "، بدليل روايات أخرى وردت بتقدير هذا الحذف في قوله: " استوصوا بالنساء خيراً " (٢)، والتي اختزنت كثيراً من الجمل والعبارات التهذيبية، وهذا من الملاطفة وحسن الخطاب (٣) .

كما أن الحذف أفاد العموم والمبالغة، أي: حسن معاملة جميع النساء لضعفهن، واحتياجهن إلى من يقوِّم أمرهن(٤)، والحذف يبعث على التفكر، وينشط خيال السامع ويجذب انتباهه، ثم إيراده لأسلوب الأمر في قوله: " استوصوا " بصيغة الأمر للترغيب في حسن معاملتهن، واستثارة النفس على تقبل ما يقال، والتأكيد على تنفيذ ذلك الأمر ، وهو التوصية بجميع النساء، وإكرامهن .

ثم تأتي دقته اللغوية في اختياره للتعبير بـ " استوصوا "، ولم يقل: " أوصيكم " لأن السين والتاء أفادت المبالغة، والحث على العناية بالنساء والاهتمام بهن، لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى .

ويظهر ترابط الخطاب في بيان النبي (ﷺ) هنا بالإشارة إلى علة هذا

---

(١) التفسير الكبير للرازي ١٦٢/١، طبع دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط ٢، ١٤٣٢هـ .

(٢) صحيح البخاري ٧٦/٣٠ تحقيق محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ، إعراب الحديث النبوي لأبي البقاء العكبري ، تح/عبد الإله بنهيان – دمشق صـ٣٤١، ٣٤٢ .

(٣) جماليات المفردة صـ٢٧٩ " بتصرف " .

(٤) فتح الباري: /٣٨٦ .

الإيصاء، وبيان لطبيعة خلقتها وهو الاعوجاج في قوله: " فإنهن خلقن من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه "، كما أنه منسجم ومترابط مع ما بعده في قوله: " إن ذهبت تقيمه كسرته ... استوصوا بالنساء "، فهذه المتعلقات التي ذكرها في هذه الجمل سواء كانت تأكيدية أم شرطية قامت بدورها في تحقيق " وظائف شعورية وفكرية، وتقوم بدور كبير في تمديد الجملة، واقتدارها على تعميق مضمونها " [١]، وهو التأكيد على اعوجاجهن والتسليم بتلك الحقيقة.

ومن الملاحظ مدى كثافة أساليب التوكيد خلال الخطاب في قوله(ﷺ): (إنَّ، هنَّ، الفعل الماضي خلقن، وتكرار كلمة ضلع، وإن)، فكل هذه الألفاظ أكدت على ضعفهن، وسرعة تقلبهن؛ فإن هذا الاعوجاج والضعف شيء طبعي بدليل الجملة الاسمية التي أفادت الثبوت والدوام، فهذا الاعوجاج من أصل خلقتها ومهامها، ولا تتم مهامها إلا بوجود ذلك الاعوجاج والضعف فيها، وقوة تحملها، لأن الضلع الأعوج يثقله حتى يميل صاحبه عن الاستواء والاعتدال [٢] .

وهذا ما عبر عنه أيضاً انتشار حرف العين في الجملتين (ضلع – أعوج – أعلاها) للتفخيم والاستعلاء والاستطالة .

وهاتان الجملتان المؤكدتان هيأ بهما الرسول (ﷺ) المخاطب والمتلقي لتلقي المضمون الخطابي بأريحية وامتثال دون تردد، والفعل الماضي (خلقن)، أشعر " بقوة الأمل في الاستجابة كأن ما يرجى أن يكون قد أصبح من المحقق المستجاب " [٣] .

وانظر إلى أسلوب التعليل في قوله: " وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه "، حيث وردت هذه الجملة تعليلاً لما قبلها، والمبالغة في اعوجاجهن، ولذلك وصفت المرأة

---

(١) البلاغة الاصطلاحية، د. عبد العزيز قلقيلة صـ١٢١، دار الفكر العربي– القاهرة، ط٤، ١٩٩٧م.

(٢) اللسان، مادة " عوج " .

(٣) اللغة الشاعرة صـ٦٦ .

بالعوج في قول الشاعر(١):

هي الضِّلَعُ العوجاءُ لستَ تُقِيمُها ∴ ألاَ إنّ تقويمَ الضلوعِ انكسارُها

ولعل تخصيص أعلى الضلع بالعوج ربط لأعلى المرأة وهو لسانها، لأنه يقع منه الأذى (٢)، وقيل: إنه من باب التمثيل في إثبات هذه الصفة لهن (٣) .

ثم استعان بأسلوب تأثيري آخر لإعطاء مزيد من الشحن العاطفي للزوج، وحثه على إكرام زوجته والحنو عليها، والإغضاء عن بعض هفواتها، ولو أراد امرأة كاملة بعيدة عن العوج أو الهفوات كسرها، وكسرها طلاقها ، وهذا ما عبر عنه أسلوب الشرط والجزاء، والاستعارة والتكرار وغيره (٤).

وفي رواية يقول (ﷺ) : " إن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته ولم يزل فيه عوج استمتعت به، استوصوا بالنساء " فالشرط أفاد تعليق السببية والمسببية (٥)، أي أن الكسر مترتب على التقويم، وأن الاعوجاج مترتب على الترك .

كما أفاد الشرط والجزاء استحالة أن توجد المرأة الكاملة، ونادراً ما توجد، ولذلك اختار الرسول (ﷺ) " إن " الشرطية لأنها تفيد عدم جزم المتكلم بوقوع الشرط في الاستقبال(٦)، والتأكيد على اعوجاجهن، والتسليم بتلك الحقيقة وقبولها، ولم يكتف بأسلوب الشرط والجزاء، بل أتى بأسلوب تصويري آخر هو الاستعارة في قوله: (كسرته) زيادة في الاقناع والبرهان والتدليل، فاستعار (الكسر) للطلاق

---

(١) البيت من الطويل لأعرابي في: الجدع اللفيف للطرابلسي، دار العرب – بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ، صـ٤٧٣، والفروق اللغوية صـ٣٦٨ .

(٢) الترغيب والترهيب ١٥٠/٣ .

(٣) المرجع السابق ١٥٠/٣ .

(٤) الدين والحياة صـ٧٣ " بتصرف " .

(٥) حاشية الدسوقي ٣٨/٢ " ضمن شروح التلخيص " .

(٦) مواهب الفتاح ٣٨/٢، " ضمن شروح التلخيص "، والإيضاح للخطيب القزويني د. محمد عبد المنعم خفاجي ١١٦/٢، دار الجيل – بيروت، (د – ت) .

بجامع التباعد والفراق، وقطع للحياة الزوجية؛ لأن في حالة الزواج يوجد فيها تواصل وتقارب للأجسام، أما في حالة البعد يتحقق تباعد الأجسام والمشاعر، والاستعارة أسهمت بدورها في مدى الضعف والرقة والهدم، والقطع، ومدى مراعاة التقويم برفق بحيث لا يبالغ فيكسر [١]، وهذا ما أوحت به كلمة (الكسر) في اللغة: " كسر: يدل على هشم الشيء وهضمه ... كسر الطائر جناحيه كسراً إذا ضمهما عند الوقوع " [٢] وقيل: كسر معناها: " لان واختمر وكل شيء فتر فقد انكسر " [٣] وقيل: الاستعارة تمثيلية، لأنك إذا أردت منها ترك الاعوجاج أفضى الأمر إلى طلاقها، فمثل أمر طلاقها بالضلع والاعوجاج الذي في أخلاقهن، لأن للضلع عوجاً فلا يتهيأ الانتفاع بهن إلا بالصبر .

ولم يكتف الرسول(ﷺ) بتلك الجمل الممتدة والطويلة بل عاد واستخدم أسلوباً تكرارياً آخر في قوله: " استوصوا بالنساء "، حيث كرر التوصية بالنساء " للدلالة على أهمية حسن التعامل مع الزوجة، والنساء عموماً، حتى لا يعترض الرجل أو الزوج بقوله، فيجره ذلك إلى ظلمها باسم القوامة، فتشعر الزوجة بالقهر والتعنت .

وصدق الشاعر إذ يقول [٤]:

لا تَظلِمَنَّ إذا ما كُنتَ مُقتَدِراً ∴ فَالظُلمُ مَرتَعُهُ يُفضي إلى النَدَمِ

تَنامُ عَينُكَ وَالمَظلومُ مُنتَبِهٌ ∴ يَدعو عَلَيكَ وَعَينُ اللَهِ لَم تَنَمِ

لقد بلغ النبي (ﷺ) هدفه من خطابه باختياره للأساليب اللغوية والتعبيرية الممتدة والمصورة، بتحقيق التوافق النفسي لكل من الرجل والمرأة، والزوج

---

(١) الترغيب والترهيب ١٥٠/٣٠ .

(٢) ينظر: الفروق اللغوية صـ٣٦٩ " بتصرف " .

(٣) اللسان مادة (كسر) .

(٤) البيت لعلي بن أبي طالب في جيد الأفكار في الأدب للقاضي حسين بن محمد راجعه عبد الحميد المقدسي، صـ ٦٢٥، مكتبة المصري ٢٠٠٩م .

والزوجة، وضمان استمرار الحياة الزوجية وعدم انقطاعها، وضمان نجاحها ، واستمالة النفوس وتآلف القلوب بالصبر على اعوجاجهن ؛ لأن من رام تقويمهن فعليه بالصبر عليهن(١) .

ولابد من التفاهم والتقبل وقوة التحمل، وانتشار روح الحب، وأن الزوج إذا ضاق بخلق زوجته، عليه أن يتحكم في أعصابه وتصرفاته، والمسامحة بينهما، والاستقرار النفسي لكل منهما بمعرفة خصائص وطبيعة كل منهما، وأن الزوج إذا ضاق بخلق في زوجته أعجب بآخر لقول الرسول (ﷺ) " لا يفرك مؤمن مؤمنة إذا كره منها خلقاً رضي آخر " (٢) .

وهذا ما أكد عليه علماء النفس في العصر الحديث من أن " كل إنسان يختلف عن الآخر في قدراته العقلية واستعدادته، وأن لكل مرحلة من مراحل حياة الإنسان سماتها وخصائصها الفيزيولوجية والعقلية والنفسية " (٣) .

وبمراعاة النبي (ﷺ) لكل ذلك في خطابه، تم له تحقيق التوافق النفسي لكل من الزوجين، وإشعارهما بالرضا والسعادة والحب والمشاركة والتفاهم، وحدث بذلك التوافق الاجتماعي من خلال تحقيق الاستقرار الأسرى في المجتمع، وانتشار روح المحبة والتسامح والترابط بين أفراد المجتمع، مما يجعله متماسك الأركان، بحيث لا تستطاع هزيمته .

ج- حديث النهي عن الغضب:

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رجلاً قال للنبي (ﷺ) أوصني قال: " لا تغضب "

---

(١) الترغيب والترهيب للمنذري: ١٥٠/٣ .

(٢) شرح صحيح مسلم للقاضي عياض المسمى إكمال المعلم، تحقيق: يحيى إسماعيل، دار الوفاء، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .

(٣) أساليب التشويق والتعزيز في القرآن الكريم د. الحسين جرنو محمود، صـ١١، مؤسسة الرسالة، دار العلوم الإنسانية، ط ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

فردد مراراً، قال: " لا تغضب " [١] .

انتشرت في أيامنا هذه مجموعة من الشرور والموبقات، كالمخاصمة، والأخذ بالثأر، والمعاداة بين أفراد المجتمع والعدوان، وحب الانتقام، والأمراض الجسدية المختلفة كـ (السكر – ضغط الدم المرتفع – الجلطات القلبية – الشلل – معوقات الهضم .. إلخ)، أو النفسية كـ (التوتر – القلق – الإحباط – وغيرها) ووقوع الطلاق، والتفكك الأسري مما يؤدى إلى انتشار الفساد في المجتمع ودماره .

وإذا نظرنا إلى هذه السلبيات والمشكلات وجدنا أكثرها نابعاً من الغضب، ولذلك عالج النبي (ﷺ) هذا السلوك السيء عن طريق وسائل تعبيرية في خطابه النبوي، وبكلمات موجزة لا تتعدى سوى جملة قصيرة في قوله للرجل الذي طلب منه أن يوصيه، فقال له: " لا تغضب "، بل وكررها له مراراً؛ لما عُرف من حاله أنه كثير الغضب في معظم المواقف بلا داعي وبلا سبب، يقول صاحب عمدة القاري: كان مكاشفاً بأوضاع الخلق فيأمرهم بما هو أولى لهم، ولعله كان غضوباً فوصاه بتركه [٢] " فلهذا اقتصر في وصيته له على ترك الغضب [٣] .

ولم يوجد أنجح من النبي (ﷺ) في قدرته من خلال خطابه وأساليبه البلاغية من اقتلاع هذه الصفة السيئة من المخاطب، وهو الرجل الغضُوب، فبدأ كلامه بإيجاد العلاج النفسي الفعال والمناسب له، وهو عدم الغضب بأسلوب النهي في قوله: " لا تغضب " لينفره من هذا السلوك السيء، لأن النهي يعمد إلى صورة قبيحة لتواجه النفس بها فتكون أكثرها تأثيراً وكفاً وزجراً .. فيكون ذلك أفعل في

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ٣٧١/٤، رقم (٢٠٢٠)، وأحمد في مسند ٣٥٧/١٤٥ رقم (٨٧٤٤) .

(٢) عمدة القارئ ١٦٤/٢٢ " بتصرف " .

(٣) فتح الباري ٥١٩/١٠ .

نفسه، وأدعى إلى الامتثال [١] .

ولما كان الرجل كثير الغضب، فإنه اعتمد بالنهي على إثارة نفسيته وإلهابها، وتهييجها بتفظيع الصورة حتى تنكف عنها [٢] فيقتنع من داخله بمدى شناعة هذا الانفعال والسلوك؛ لأن النبي (ﷺ) لمح من حاله أنه يُكثر من الغضب في معظم الأحوال دون القدرة على التحكم في انفعالاته أو تفكيره، فلا يستطيع أن يواجه المواقف المثيرة للغضب بحكمة وهدوء، وربما جره ذلك إلى التهور والاندفاع ، فأراد النبي (ﷺ) عن طريق النهي أن يفهمه مدى " القيمة العظيمة لمجاهدة النفس في التحكم في الغضب مما يؤدي إلى حسن العلاقات بين الناس، وانتشار السلام والمودة بينهم " [٣]

واتخذ النبي (ﷺ) مع هذا الرجل أسلوب التنفير بالنهي ثم ثنى بطريق آخر لسلب تلك الصفة منه، وهو (التكرار) لتخفيف حدة هذا الانفعال عنده وتفهيمه، فكل مرة يأتي له يقول له نفس (العبارات)؛ ليساعده على مواجهة الغضب بأن يتخلى من داخله، ومن قرارة نفسه عن هذه الصفة السيئة؛ لأنه في كل مرة يفكر في سبب تكرار النبي (ﷺ) لنهيه عن الغضب، فدعاه للمشاركة معه، وتفاعل من خلال تفكيره بهدوء في قبح تلك الصفة وشناعتها، وتنقيته من الغضب.

وجاء التكرار على أوقات مختلفة، وأزمنة مختلفة مما جعله مقتنعاً من داخله بمدى شناعة هذه الصفة، وتخفيف حدة هذا الانفعال عنده، مما يعمل على تحقيق التوازن والتحكم في النفس، كما أن التكرار يفيد أهمية النهي عن الغضب، والتنفير عنه، والتأكيد على قبحه لدى المخاطب، والإشعار بعظم المنهي عنه، وتكوين قناعة تامة في مجاهدة النفس، والسيطرة على انفعالاته، ولذلك لم يعد النبي (ﷺ) الصرعة في القوة، بل في أن يملك الإنسان نفسه عند الغضب، فقال: " ليس

---

(١) دلالات التراكيب صـ٢٥٨ .

(٢) المرجع السابق صـ٢٥٨ " بتصرف " .

(٣) الحديث النبوي وعلم النفس صـ١١٩ .

الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب " [١] .

لأن الشيطان يستطيع أن يدخل للإنسان بسهولة في حالة الغضب فيكون ضعيفاً، فيغريه ذلك على ارتكاب الآثام، فانظر إلى أسلوب التأكيد، كيف يساعد على تقوية الإنسان، وتثبيت المعنى المكرر في نفسه !

وانظر إلى براعة الأساليب اللغوية، وكيفية تأثيرها على نفسية المخاطب في اكتسابه للقوة، والسيطرة على انفعالاته أثناء الغضب، والقدرة على مقاومته .

ولما كان الغضب يؤدي بالإنسان إلى الثورة والانفعال، وثوران دم القلب، مما يؤدي إلى إلحاق الضرر بالجسم ويدعو إلى الانتقام [٢]، ولذلك شبهه النبي (ﷺ) بالجمرة فقال: " اتقوا الغضب فإنه جمرة توقد في قلب ابن آدم ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه " [٣] .

ولذلك ألمح النبي (ﷺ) لأسلوب تعبيري آخر مناسب لحالة الرجل الغضوب، وهو أسلوب الإيجاز بالقِصَر؛ لما فيه من التطويع للمعاني الكثيرة التي لا يحيط بها وصف في بيان مساوئ الغضب، وكذلك لأن الغضوب يخرج من فمه قذائف فلا يناسبه التطويل والإسهاب، وهذا مما لا يتأتى لكل أحد .

ولذلك أشاد العلماء بإيجاز القصر لفوائده الجمة، واحتياجه إلى موهبة فذة: " فحينما نتأمل إيجاز القصر نجد له طبيعة خاصة تجعله متميزاً، فالكلام الذي يُصاغ من أول أمره على الإيجاز، أو يكون داخلاً في بنيته التركيبية، ولم يعرض له حذف أدق مسلكاً من الإيجاز بالحذف؛ لأن الحذف يعني أن العبارة اقتصرت على جزء

---

(١) فيض الباري على صحيح البخاري للهندي الديوبندي، تح: محمد بدر عالم: ١٥٥/٦، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٦هـ .

(٢) ينظر: المفردات صـ٣٦١ بتصرف كبير، والمقابسات لأبي حيان التوحيدي صـ٢٩٤ " بتصرف " دار الآداب – بيروت – ط٢، ١٩٨٩م .

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، تح: عبد الحميد هنداوي، ٣٢٦٦/١٠، مكتبة نزار مصطفى، ط١، ١٤١٧هـ .

المعنى وامتدت بامتداده، ثم سقط جزء منها، وأقيم عليه دليل، أما إيجاز القصر فإنه تطويع للمعنى الكثير، وإلباسه بنية لفظية قليلة، وهذا جهد صعب، لأنه يعني ضغط المعنى ضغطاً حاذقاً لا يضيع منه شيء ثم مد اللفظ اليسير عليه، وبسطه حتى يستولي على كل دقيقة في حاشية المعنى، ولهذا احتاج إلى فطنة ووعي وسليقة ودراية، تعرف كيف تصطنع اللمح والإيحاء، واللفظ فيه يدل على معنى، ويومئ بثان وثالث " (١) .

ولا يوجد أفطن وأوعى من الرسول (ﷺ) وسليقته العذبة في استخدامه لهذا الأسلوب؛ لأن الإيجاز بالقِصَر في هذا الخطاب أكد على كثرة أنواع الغضب ومساوئه، ولكل نوع من الغضب علاجه، كما أن شدة الغضب تختلف من شخص إلى آخر بحسب طبيعته، وهذا ما اختزنته تلك الكليمات الصغيرة، كما أنه يحذر – أيضاً – من الاقتراب من الأسباب المؤدية إلى اجتلابه، ولذلك مدح الله تبارك وتعالى – المتحلين بذلك فقال: {وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ} (٢) وقوله تعالى: { وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ } (٣) ولذلك لم يغضب الرسول (ﷺ) إلا أن تنتهك حرمات الله، قال علي (رضي الله عنه) " كان رسول الله (ﷺ) لا يغضب للدنيا، فإذا أغضبه الحق لم يعرفه أحد، ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له " (٤) .

كما أن الإيجاز يدعو الرجل إلى شحذ فكره إلى التفكير في مساوئ الغضب

---

(١) الإعجاز البلاغي، دراسة تحليلية لتراث أهل العلم د. محمد محمد أبو موسى صـ١٠٨، مكتبة وهبة ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م .

(٢) سورة: الشورى، آية [٣٧] .

(٣) سورة: آل عمران، آية [١٣٤] .

(٤) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للهندي، تح: بكري حياني ٦٤/٧، مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤٠١هـ .

بنفسه، وكيفية معالجة ذلك من داخله هو مما يرجع بذلك على تشغيل فكره بعد أن كان معطلاً بسبب غضبه، وهذا بدوره يدل على اختلاف أنواع الغضب، واختلاف طبيعة المتحلين به، فيجد كل منا علاج الغضب حسب طبيعة الموصوف به، وحسب شدة هذا الغضب أو ضعفه .

ثم تأتي دقة وبراعة الرسول (ﷺ) في اختياره للفظ (الغضب) دون غيره كـ (الغيظ) مثلاً؛ لأن حروف الكلمة، وصيغتها يدلان على مدى شدة وقوة وثوران الغضب بداخل الرجل الذي أوصاه بعدم الغضب، وذلك لقوة وسرعة انفعاله وسرعة دقات قلبه وتتابعها ، وهذا ما عبر عنه حرف (الضاد)أيضاً لأنه حرف قوي مجهور، وهذا يدل على مدى التفخيم من قوة الغضب وشدته، وكذلك صيغة الفعل (تغضب) على وزن (تفعل) وبالفعل المضارع لإفادة المبالغة في شدة الغضب، وشدة معاناة الإنسان الغاضب ومشقته وامتداد الغضب وتجدده وتكراره منه ، مما أشعر باحتياجه إلى علاج خاص وأسلوب خاص لاقتلاع الغضب منه.

هذا ما قدمته بلاغة الرسول (ﷺ) من خلال خطابه الرائع العالي ، ومن خلال تنويعه بين الأساليب النفسية الفعَّالة من نهي، وتكرار، وإيجاز، واختياره للكلمات الملائمة للتعبير عن تلك الحالة، مما أدى إلى نجاح خطابه التواصلي من اقتلاع تلك الصفة منه، وإيجاد الحل له، والتحكم في أعصابه في أوقاته القادمة، ونجاحه في تعديل هذا السلوك وعلاجه ؛ لأن تداخل الانفعالات وتزاحمها بداخل الإنسان الغاضب يفقده التوازن والتركيز في التفكير، وعدم السيطرة على النفس فيعجز عن إيجاد حل للمشكلة التي كانت سبباً في غضبه، وعدم رضائه وشعوره بالضيق ، كما أن مساوئ الغضب لا تقتصر على الرجل الغاضب فحسب بل تتعداه إلى المجتمع، من حيث انتشار الضغينة والحقد، وحسب الانتقام بين أفراد المجتمع، بينما في حالة عكس كل هذا يتمكن من حل المشكلة التي يعاني منها، باكتسابه للتوازن النفسي بالتفكير في حلها مما يرجع على أفراد المجتمع بانتشار المحبة بينهم، وتقوية لأواصر المحبة والترابط، وتقوية العلاقات بينهم، والرضا .

وهذا ما أكد عليه علماء النفس في العصر الحديث في الدراسات النفسية الحديثة، من أن انفعال الغضب يؤثر على القوى العقلية ويشل التفكير، ويشتت الانتباه ... ولذلك قال رسول الله (ﷺ) " لا يقضين حكم بين اثنين وهو غضبان " (١)، (٢) .

د- حديث سبل تكوين الشخصية السليمة:

عن حذيفة بين اليمان (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ) " لا تكونوا إمعة تقولون: إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا " (٣) .

انتشر في عصرنا الحالي العديد من التغيرات العديدة في كل شيء، وانتشرت أعراف مستحدثة لا تمت إلى الإسلام بصلة، مثل: كثرة المغريات التي تدفع الإنسان إلى التخلي عن مبادئه وشخصيته الفطرية الإسلامية التي عمادها المثل العليا، والأخلاق الحسنة، فتدفع الإنسان إلى بعض الحيل للوصول إلى المطامع المادية، من آمال، أو شهرة، أو منصب ... إلخ " مما أدى ذلك بدوره إلى سوء الأخلاق وتدنيها، وبدأت الشخصية الإنسانية في تذبذب، وضعف، وعدم استقرار، وتقلبت تقلباً سريعاً، فبدت غير متماسكة ومتزعزعة كأنها ريشة في مهب

---

(١) شرح صحيح مسلم للقاضي عياض (٥/٥٧٥) .

(٢) مدخل علم النفس في ضوء القرآن والسنة د. سعيدة محمد أبو سوسو صـ ٦٢، دار الفكر العربي – القاهرة (د – ت) .

(٣) أخرجه الترمذي في سننه ٤/٣٦٤، رقم ٢٠٠٧، والبزار في مسنده ٧/٢٢٩ رقم ٢٨٠٣، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح رواه البزار في مسنده بلفظ " لا تكونوا إمعة بأن تقولون: إن أحسن الناس أحسنا وإن أساءوا أسأنا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسنوا أن تحسنوا، وإن أساءوا ألا تظلموا " . مسند البزار، تح: محفوظ عبد الرحمن زين الله، ط: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ١، ٢٠٠٩م .

الريح، يسهل تطيرها وانهزامها .

ولذا فقد اختلطت عليها المفاهيم، فبدأت تخالف القوانين الإسلامية، والمثل العليا، مستندة على بعض الأسباب الواهية، كتدني الأحوال الاقتصادية من (فقر، وبطالة، ومجاراة لروح العصر من السرعة والتبعية .. إلخ فأصبحت الشخصية كالدابة أو " بدنة الذي يؤمر فيأتمر، ويساق فيتحرك، ويسخر فيلزم ما يملى عليه، أو يرسم له " [١] فيضطر بذلك إلى النفاق، والمداهنة، والرياء، ولعل هذا قد أدركه الجاحظ منذ زمن بعيد حيث عبر عن ذلك بقوله: " استفحل الفساد وبزل وتمكن الجهل وقرّح، فعند ذلك يقوى داؤه ويمتنع دواؤه، لأن الفساد أسرع إلى الناس وأشد التحاماً بالطبائع " [٢]، وهذه هي الكارثة والطامة الكبرى بعينها .

وكل ذلك جعل الرسول (ﷺ) يأتي في خطابه النبوي في هذا الحديث بعدة أساليب لغوية وتعبيرية تبلور كل هذه المعاني، وتمد الشخصية الإسلامية بالأسلحة التي تمنحها القوة، وتعمل على تكامل الشخصية واستقلالها وعدم تذبذبها، ولذلك ركَّز على الأساليب التي تدعو إلى التركيز، وشد الانتباه، وإثارة المشاعر، فبدأ بأسلوب إنشائي، وهو النهي في قوله: " لا تكونوا إمعة " للتنفير والتحذير، واجتناب التحلي بذلك الوصف وقبحه وشناعته وفظاعته؛ لأن " المنهي عنه كلما كان أقبح كانت النفس عنه أنفر، والداعية إليه أبعد .. لأنه اعتمد على إثارة النفس وإلهابها، وتهييجها بتفظيع الصورة حتى تنكف عنها " [٣] .

ولعل هذه الجملة حملت تشويقاً وإثارة وتهيؤاً وإبهاماً وتعجباً، وهو لماذا ينهانا على أن لا نكون إمعة ؟ فجاءت الجمل المتوالية لتحمل تفسيراً وتوضيحاً ومتابعة لمعنى هذا المنهي عنه، وتُعد هذه وسيلة جميلة منه (ﷺ) ضمن بها التشويق

---

(١) جدد حياتك صـ١٧٩ .

(٢) البيان والتبيين ٨٥/١ .

(٣) مرقاة المفاتيح للهروي ٣٢٣/٨ .

والمتابعة والحرص على المعرفة والتعلم، وإثارة النفس كذلك ، وإن كانت تلك الجملة قد اختزنت، واكتنزت العديد من المعاني في قوله: " لا تكونوا إمعة "؛ للإيجاز المشتملة عليه من خلال الكناية التي أوحت بقبح عدم استقلال الشخصية وضعفها، وعدم استقرارها، والعمل بقول الآخرين (١)، وعدم قدرتها على اتخاذ القرارات المهمة، وحل للمشكلات، ومدى ضعف عزيمة الشخصية، وخور إرادتها بعدم القدرة على التصدي للمغريات، وربما دلالة الكلمة أيضاً (إمعة) عبرت عن كل ذلك؛ لأن (إمع) تعني: " الهمزة والميم والعين ليس بأصل والذي جاء فيه رجل إمعة، وهو الضعيف الرأي، والقائل لكل أحد أنا معك " (٢) ولعل ابن فارس يقصد أن هذا الوصف لا يقع وصفاً للمرأة؛ لضعفها ولكونها تابعة لغيرها، وجاء الضعف وعدم الاستقرار من الاختلاط وعدم التركيز – من خلال – دلالة حروف الكلمة، حيث أن المعمعة، تعني: " صوت الحريق والشجعان في الحرب " (٣) .

ولعل تآزر كل تلك الأساليب من نهي، وكناية، وإيجاز، ودلالة الكلمة، أوحى بمدى حرص النبي (ﷺ) على إعمال الفكر، وهو علة خلق الله للخلق متفاوتين في الأشكال، والألوان، واللغات .

ثم استعان النبي (ﷺ) في خطابه بأسلوب لغوي آخر يتسم بالقوة والتأثير والتوضيح لما قبله، وهو أسلوب (الشرط والجزاء) في قوله: " بأن تقولوا إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا "، وفي بعض الروايات: " وإن أحسنوا أحسنا وإن أساءوا أسأنا " (٤) بأن علق حصول مضمون جملة بحصول مضمون جملة أخرى

(١) الكنايات المصرية العامية د. أشرف عزيز صـ٢٢٢، مكتبة العلم (د – ت) .
(٢) مقاييس اللغة مادة (إمع) ١٣٩/١ تحقيق: عبد السلام هارون – دار الفكر ١٣٩٩هـ .
(٣) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان، دار القلم – بيروت، ط١، ١٤١٢هـ صـ٧٧١، أساس البلاغة مادة (إمع) .
(٤) مسند البزار ٢٢٩/٧ رقم ٢٨٠٣ .

(١)، أي: أن الإحسان مرتبط ومتلازم مع إحسان الناس، والظلم والإساءة مرتبطة ومتلازمة بحصول الإساءة والظلم .

ويمكن التوفيق بينهما بأن كلاً من الظلم والإساءة عاقبتهما واحدة، وسببهما واحد هو استيلاء الشيطان على الإنسان تمام الاستيلاء، مما يجعل الإنسان تابعاً له مما يجره إلى الموبقات، والابتعاد عن الطريق المستقيم ، فأسلوب الشرط والجزاء قائم على التعليق والسببية أي: تعليق (الإحسان على إحسان الناس، وتعليق الظلم على ظلم الناس) ولذلك عطف قوله: " وإن ظلموا ظلمنا " على قوله: " إن أحسن الناس أحسنا " لوجود المغايرة والتضاد والموازنة بينهما .

واستخدام الرسول (ﷺ) لأسلوب الشرط والجزاء كان من الأسلحة المضادة لذلك التعليق، حيث إنه يمنح الخطاب نوعاً من القوة والتماسك والتركيز والترابط، والاستقلالية، وبذلك استطاع النبي (ﷺ) في خطابه أن " يضع الحقيقة المجردة ويبين الحكم، لكي يتيح للإنسان حرية الرأي، وليكون كل فرد مسئولاً عن عمله، وأسلوب الشرط من أكثر الأساليب التي تساعد على ذلك " (٢) .

كما أن فيه عنصراً تنغيمياً واضحاً يعتمد على السكينة الواضحة بين الشرط والجواب، وفى هذا وضوح نغمي يحدد المراد من الكلام لأنه من تمام الفائدة في أسلوب الشرط (٣) .

واستخدام أداة التأكيد (إن) في الجملتين وتكرارها يحقق الترابط والائتلاف

---

(١) موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب لخالد بن عبد الله الجرجاني، تح: عبد الكريم مجاهد صـ١١٦، طبع الرسالة – بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ – ١٩٩٦م .

مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام تح: مازن المبارك محمد علي حمد الله صـ٨٥٠، طبع: دار الفكر – دمشق، ط ٦، ١٩٨٥م .

(٢) جدد حياتك صـ١٦١ .

(٣) أحمد كشك، ط: ثانية ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م .

الذي يهدف إليه النبي (ﷺ)، كما يحقق الترابط والتسلسل بين فقرات الخطاب، وارتباط سابقه بلاحقه، وعدم وجودها يؤدي إلى الضعف والفتور، وهو ما أراد الرسول (ﷺ) القضاء عليه بواسطة تلك الأساليب، يقول الدكتور عبد الفتاح لاشين مشيراً لوجود (إن) في الكلام بقوله: " إنَّ ترى الجملة إذا هي دخلت ترتبط بما قبلها، وتأتلف معه وتتحد به، حتى كأن الكلامين قد أفرغا إفراغاً واحداً، وكأن أحدهما قد سُبك في الآخر؟ هذه هي الصورة حتى إذا جئت إلى إنَّ فأسقطتها، رأيت الثاني منهما قد نبا عن الأول، وتجافى معناه عن معناه، ورأيته لا يتصل به، ولا يكون منه بسبيل "(١) .

كما استعان النبي (ﷺ) بأسلوب تأكيدي آخر وهو (المقابلة) في قوله: " أحسن الناس أحسنا "، وبين قوله: " وإن ظلموا ظلمنا "، وهذا سلاح تأثيري آخر على المخاطب يعطيه مزيداً من القوة لشخصيته، وتتيح له القدرة على التفكير من إيجاد التباين بين الإحسان، والظلم، ليتبين له حسن الأول وقبح الثاني، لأن الضد يتميز بحسنه الضد، كما يساعد على تأكيد الذات، واستقلال الشخصية من خلال المقارنة والتمايز بين الحالتين، ومدى استحسانه للأول .

كما ساعد السجع في قوله: " أحسنا، وظلمنا "، في إيجاد هذا الاستحسان، عن طريق شدة التأثير في الوجدان، فيملأ القلب، ويغلب العقل في كل الأحوال (٢)، مع التناغم الموسيقي .

ثم تابع الرسول (ﷺ) كلامه بأسلوب إنشائي آخر هو الأمر في قوله: " وطنوا أنفسكم "؛ للترغيب وإرشاد النفس، والحث لها على المحافظة على تكامل الشخصية واستقلالها، وتمسكها بالمثل العليا، والملازمة لها، وعدم الانفكاك عنها،

---

(١) معاني التراكيب صـ١٠٢، نقلاً عن دلائل الإعجاز صـ٣١٥، ٣١٦ " بتصرف " .

(٢) الإصلاح التربوي والاجتماعي والسياسي من خلال المبادئ والاتجاهات التربوية عند التاج السبكي دراسة تربوية تحليلية موضوعية د. عبد الرحمن النحلاوي صـ٩٠، " بتصرف " المكتب الإسلامي (د – ت) .

بأن يجعل المثل العليا وطناً له يتمسك بها ولا يتخلى عنها مع ولائه لها مهما تحمل في سبيل ذلك من المشاق، والتعب من أجل الذود والدفاع عنها، كما لا يستغني الإنسان عن منزله الذي يقيم فيه ويؤويه، ولعل هذا ما جعل الرسول (ﷺ) يؤثر التعبير بكلمة (وطَّنوا) دون غيرها مثل: (اعزموا) أو (اعقدوا)، لأن كلمة (وطن) تعني: " المنزل تقيم به وهو موطن الإنسان ومحله .. وطن بالمكان أقام فيه .. يقال: أوطن فلان أرض كذا وكذا، أي: اتخذها محلاً ومسكناً يقيم فيها ... وطن نفسه على الشيء وله فتوطنت حملها عليه فتحملت وذلت له، وقيل: وطن نفسه على الشيء حملها عليه " (١) وربما كان قوله: (وطنوا أنفسكم) كناية عن شدة تمسكهم بالمثل العليا، وشدة الملازمة لها، والاعتزاز بها مع ولائه لها، وقوة تحمله وعدم ضعفه .

ثم عاد الرسول (ﷺ) في خطابه إلى الأسلوب الخبري مرة أخرى في قوله: (إن أحسن الناس أن تحسنوا)؛ ليمنح الإنسان والمخاطب مزيداً من الثقة والتروي والرضا، والقدرة على التفكير، والرجوع إلى الشخصية الإسلامية المستقلة التي أساسها المثل العليا، ولذلك يصبح قوياً ثابتاً، ولا يستطيع الشيطان هزيمته بإغرائه بتحوله وتزعزعه عن ذلك في حالة الإساءة له، وأن الإحسان مطلوب منه في جميع الأحوال حتى في حالة الإساءة له، وذلك بعدم حيفه في رد الإساءة، بل ويحسن به أن يتغافل عن تلك الإساءة، وذلك لأن التغافل نوع من العبادة، ولذلك مدحها الله – تعالى – وأثنى عليها بقوله: { وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ } (٢)؛ مما يشعر بروح التسامح والمحبة بين أفراد المسلمين جميعاً، ولذلك قال أحد الصالحين عن ذلك بأن " جُعِلَتْ تسعة أعشار العبادة في الصمت " (٣) .

---

(١) اللسان مادة (وطن) ٤٥١/١٣، ط دار صادر – بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ .

(٢) سورة: الشورى، آية [٤٠] .

(٣) بحر الدموع لابن الجوزي، تح: جمال محمود مصطفى صـ١٢٤، ط ١، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م .

وهذا ما جعل النبي (ﷺ) يغاير في طريقة خطابه بأن رجع إلى الأسلوب الإنشائي (النهي) مرة أخرى في قوله: " فلا تظلموا " للتنفير والتقبيح والتشنيع من الظلم، فيكون بذلك أدعى إلى تركه، وعدم التحلي به واجتنابه ،لأن هذا يدل على قوة إسلام المرء، وإحسانه وكرم أخلاقه حتى في حالة الإساءة إليه .

ولذلك قال الشاعر [١]:

أحسِنْ إلى النّاسِ تَستَعبِدْ قُلوبَهُمُ ∴ فطالَما استبَعدَ الإنسانَ إحسانُ

وقول الآخر :

وإذا بغى باغٍ عليك بجهله ∴ فاقتلْه بالمعروف لا بالمنكرِ

أحسِنْ إليه إذا أساء فأنتما ∴ من ذي الجزاء بمَسْمَع وبمنظرِ

كما أن أسلوب (الشرط والجزاء) في قوله: (إن أساءوا فلا تظلموا)؛ لإعطاء المخاطب – أيضاً – القوة، وارتباط النتيجة بالمقدمة، وذلك لأن الشيطان يقوى في حالة الإساءة، فربما زين له فشجعه على الانتقام، والمخاصمة، والظلم، والفساد وتخليه عن المثل العليا ، فحتى لا يضعف ويستجيب له أراد النبي أن يقويه بالتصدي له عن طريق الشرط والجواب والنهي .

ومن هنا وجدنا الرسول (ﷺ) مقنعاً بخطابه في معالجة ضعف الشخصية، وعدم استقرارها، وتبعيتها لغيرها بخطابه النبوي القوي، والمتنوع ما بين ترهيب، وترغيب، وإيضاح، مما أسهم في إرجاع الثقة إلى النفس مرة أخرى، والتي تسعى إلى نفع الناس وتحقيق الخير لهم، مع شعور النفس بالثقة والرضا، وشعوره بالمسئولية تجاه نفسه، وغيره من أفراد المجتمع ، وبذلك يحدث التوافق الاجتماعي بانتشار روح العلم، والابتكار، وقلة وجود الجرائم، وانتشار روح المسامحة والولاء للجماعة، والشعور بالمسؤولية تجاه المجتمع انطلاقاً من قوله (ﷺ) " كلكم راع

---

(١) البيت لأبي الفتح البستي وقيل: إنها لأمير المؤمنين الراضي في حياة الحيوان الكبرى للدميري، دار الكتب – بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ .

وكلكم مسؤول عن رعيته "[١] .

(١) فيض الباري على صحيح البخاري ٤٢٣/٢ .

المبحث الثاني

أسلوب العرض والتحضيض وأثره في تحقيق التوافق النفسي والاجتماعي

جاء خطاب الرسول (ﷺ) في حديثه النبوي مشتملاً على أسلوب العرض والتحضيض؛ للحث والتشويق إلى معرفة الشيء، مما يضمن فيه الرسول (ﷺ) تهيئة المخاطب لقبول ما يراد منه من أمور عظام سواء كانت بالترغيب في أشياء محببة للنفس أو منهي عنها، ولذلك حينما كان يأتي الرسول (ﷺ) بالعرض والتحضيض في كلامه كان الصحابة يشعرون بأن هناك أمراً جللاً، فكانوا ينتبهون لما يأتي بعد هذا الأسلوب ويستيقظون، ويتشوقون إلى معرفة هذا الشيء الذي يأتي بعد، فيأتي الخبر وقد تهيأت النفوس لاستقباله .

أما اللين والرفق في الخطاب النبوي في حديثه (ﷺ) فقد جاء لضمان الاستجابة؛ ولضمان النتائج المرجوة من الخطاب " فكم من نفوس أعرضت عن كلمة الحق، ولم يكن إعراضها ناشئاً عن طعن في صحتها أو شك في وضوحها بل السبب الذي أدى إلى نفورها هو الأسلوب الذي غلب الجمود والفظاظة، ونأى عن الرفق واللين .. لأن التراحم بين الناس يشد بعضه إلى بعض، ويخلق بينهم جواً من الألفة والترابط"(١).

ويعد أسلوب العرض والتحضيض من أساليب التشويق والتعزيز، وهذا ما أثبته علماء النفس من أن هذا الأسلوب من الأساليب المهمة في مجال التربية الحديثة، وضبط السلوك لتحقيق الأهداف التربوية، فالفرد يتشوق إلى أمر ما بعد شعوره بالحاجة إليه فيباشره .. وهو تعزيز إيجابي، وتفاعل الإنسان بجميع جوانبه النفسية والعقلية، العاطفية والإدراكية، وتتعامل مع قواه العقلية، وتعني بتنمية هذه القوى وتهذيب فعاليتها، وتهدف إلى إكسابه مهارات فكرية وحركية تتسم بالنظام

(١) أدب الخطاب عند الرسول صـ٤ .

والإيجابية " [١] .

وهذا ما سوف يتضح من خلال التحليل للخطاب المشتمل على العرض والتحضيض .

حديث التنفير عن شهادة الزور.

عن أبي بكرة نفيع بن الحارث (ﷺ) قال: قال النبي (ﷺ): " ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ ثلاثاً، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: " الإشراك بالله وعقوق الوالدين – وجلس وكان متكئاً فقال: – ألا وقول الزور، قال: فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت [٢] .

راعى الرسول (ﷺ) في خطابه هنا خطورة قول الزور، ومدى قبحه منذ زمن بعيد، فسعى في إيجاد علاج لهذا السلوك، فاقتضى منه تعبيرات لغوية وأسلوبية معينة ومتنوعة، ولم يكتف بذلك بل استعان بتعبيرات جسدية – أيضاً –، ليسهم كل ذلك في نجاحه في التأثير على المخاطبين بطريقة تأخذ بتلابيب أنفسهم، وملامسة أعماقهم النفسية والوجدانية، فتستميلهم إلى قبول ما أمرهم به وتنفيذه، فيسارعوا إلى الابتعاد عن شهادة الزور، أو ما يؤدي إلى شهادة الزور فاستهل خطابه (ﷺ) بـ " ألا " وهو في ذلك متأثر بالقرآن [٣] في استهلاله بـ " ألا " في المناسبات والمواقف المهمة والشائقة .

وحينما يقول الرسول (ﷺ) " ألا " يشعر الصحابة ومن في حكمهم بأن هناك أمراً جللاً فينتبهون ويستيقظون، ويتهيأون لاستقبال هذا الأمر الخطير ، وهو أن ما سيأتي له بال وقيمة عند المتكلم و " ألا " بفتح الهمزة وتخفيف اللام للتنبيه على

---

(١) أساليب التشويق والتعزيز ١٩ وما بعدها " بتصرف " .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور ١٧٢/٣ رقم ٢٦٥٤، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب بيان الكبائر وأكبرها ٩١/١ رقم ٨٧، والترمذي في سننه ٣١٢/٤ رقم (١٩٠١) .

(٣) قوله تعالى: { أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ } سورة: النور، آية [٢٢] .

تحقق ما بعدها ، وقيل: " ألا " للعرض والتحضيض [١] والتشويق [٢] للإشعار بأهمية ما يخاطبون به [٣] .

وقيمة الاستفهام هنا بـ " ألا " تهيئ النفس لتتلقى من السياق ما يجيش به من خواطر ومشاعر وصور هي التي جاشت في نفس متلقيه [٤] .

وفي الاستفهام – أيضاً – دفع للمخاطب إلى الحكم الصحيح .. وإحداث للتأثير الأبلغ لديه، وإيجاز واقتصاد في بنية الخطاب، وارتقاء بالمخاطبين، وتحويل لهم من موقف سلبي إلى آخر إيجابي [٥] ولذلك فإن الاستفهام أسهم بدوره في إحداث التغيير المطلوب، والإصلاح المرجو إلى الاهتداء إلى مكارم الأخلاق .

ثم استعان بأسلوب آخر وهو الحوار عن طريق الاستفهام في قوله: " ألا أنبئكم بأكبر الكبائر فقال الصحابة بلى يا رسول الله "؛ وفي الحوار دعم لأسلوب السرد والمشاركة، وتفاعل في بناء الخطاب والنص، وإثارة ودافع لهم على المتابعة والاستمرار، ووصول إلى درجة من الاقتناع والتعزيز الإيجابي لهم .

ثم استعان بأسلوب تعبيري آخر في خطابه وهو الترقي [٦] من الأعلى إلى الأدنى، ثم إشارته إلى خطر ذلك الأدنى، ومدى شدة مضرته التي ظهرت من أول أسلوب الترقي في قوله: " الإشراك بالله " إلى أن وصل إلى آخره في قوله: " قول

---

(١) العرض هو: طلب بلين، والتحضيض طلب بحث للتنبيه، كفاية المعاني في حروف المعاني لعبد الكردي البيتوشي تح: شفيع برهاني صـ١٤٣، ط١، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م .

(٢) التشويق هو: أن يكون المخاطب جاهلاً بالخبر حريصاً على المعرفة فيكون الاستفهام أوقع في نفسه فتستميله، ويدفعه إلى الحرص على التعلم والرغبة في تحصيله . الحديث النبوي وعلم النفس صـ١٩١ .

(٣) الحديث النبوي وعلم النفس صـ١٩١ " بتصرف " .

(٤) دلالات التراكيب صـ٢١٦ .

(٥) أسلوب الاستفهام في الأحاديث النبوية في رياض الصالحين صـ٢ " بتصرف " .

(٦) الترقي هو: أن نذكر معنى ثم نردف عليه ما هو أبلغ منه، كقولك: فلان نحرير شجاع باسل، وجواد فياض، فن البديع د. عبد القادر حسين صـ١٠٨، دار الشروق ١٩٩٧م – ١٩٩٨م .

الزور "، وبذلك يُعد هذا تهيئة للمخاطب وتشويقه ببيان بعض أنواع شهادة الزور، مبتدئاً بأعلاها، كما يُعد هذا انسجاماً وترابطاً للخطاب، إذ بدأ بتفصيل وتوضيح السابق (أكبر الكبائر)، ومدى ارتباطه باللاحق – أيضاً – وهو (شهادة الزور)، في أن كلاً منهما يشد بعضه بعضد بعض في بيان خطر هذه الصفة .

وانظر إلى غناء ألفاظ النبي ودلالتها حيث اشتملت (ألا) على أكثر من معنى الاستفهام، والعرض، والتحضيض " [١] .

ثم استعان بأسلوب آخر في خطابه (ﷺ)، وهو التكرار في قوله: " أكبر الكبائر " ثلاث مرات لاستمالة الصحابة وزيادة في التنبيه، وشحذ لأذهانهم ومشاعرهم، واستقطابهم لسماع ما يلقى عليهم، وعدم تفلتهم منه، " والمتكلم إنما يكرر ما يثير اهتماماً عنده، وهو يحب في الوقت نفسه أن ينقله إلى نفوس مخاطبيه، أو من هم في حكم المخاطبين مما يصل القول إليهم على بعد الزمان والديار " [٢]، ويكون في ذلك مجارياً لسنن العرب في أساليبهم وسننهم من " التكرير والإعادة إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر " [٣] .

كما أثَّر التكرار في قوله: " أكبر الكبائر " وصياغته بتلك الصيغة على نفسية المخاطب؛ لأن الرسول (ﷺ) استدعى التكرار في خطابه؛ للتأكيد على خطر القضية المحورية في الخطاب ، وهي " شهادة الزور " المتأخرة في الخطاب؛ لأن لها " خطراً في الحياة الروحية والنفسية فاقتضي الحال أن يقابل هذا الموقف بما ينبغي له من الحضور النفسي والعقلي، وهذا لا يكون إلا بالتنبيه على هذا الموقف

---

(١) شرح أحاديث من صحيح مسلم دراسة في سمت الكلام الأول د. محمد أبو موسى ١٤٢/١، مكتبة وهبة، ط١، ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م .

(٢) التكرار في الحديث النبوي بحث منشور للباحثة أميمة بدر الدين صـ٧٦، في مجلة دمشق، مجلد ٢٦، العدد ١ – ٢، ٢٠١٠م .

(٣) الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها لابن فارس صـ١٥٨، الناشر: محمد علي بيضون، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م .

والدعوة له، والهتاف به والتكرار أداة فعَّالة من أدوات الإيقاظ والتنبيه " [١] .

وإعادة الكلام – أيضاً – من الرسول (ﷺ) لغرض الإفهام والحفظ، وصياغة العبارة بصيغة (أكبر الكبائر) تبعث في نفوس متلقيها التهيئة والإيقاظ إلى معرفة ما شوقهم إليه، وبعثت فيهم الخوف والفزع إلى ما سيأتي بعد ، فترقى بذكر الأعلى وهو الإشراك بالله " ثم تدرج وترقى إلى عقوق الوالدين ثم تدرج وترقى بذكر الأدنى، وهو شهادة الزور أو قول الزور، ومجيء هذه الألفاظ معطوفة بالواو إشارة إلى اقترانها، وتسلل بعضها إلى بعض تسللاً خفياً، وكأن بينهم خيوطاً رفيعة تسري في جنبات الخطاب في كون واحدة منهم قادرة على تدمير المجتمع بأسره، وهذا ما فعله الرسول (ﷺ) حينما فاجأهم بتغيير جلسته وتغيير ملامح وجهه؛ ليهيئ السامع إلى مدى خطورة وشدة هذا الأدنى، وهو " شهادة الزور "، ويستشعر منه مدى حرصه على حماية المسلمين من التحلي بتلك الصفة ، ولأهمية هذا الأمر عنده نجد أن الرسول (ﷺ) كرره ثلاثاً؛ لتأكيد تحريمه لهذا الأمر وعظم قبحه ، ولذلك جعل النبي (ﷺ) شهادة الزور تعدل الإشراك بالله ثلاث مرات فقال: " عدلت شهادة الزور الإشراك بالله ثلاث مرات " [٢] .

وتكرار شهادة الزور للتأكيد على أهمية المعنى الذي حمله اللفظ المكرر من جهة، حتى يستوعب الصحابة القصد والغاية التي أرادها النبي (ﷺ) من ذلك التكرار من جهة ثانية [٣] ولعل الذي دعاه – أيضاً – إلى تكرارها هو كون شهادة الزور " أسهل وقوعاً على الناس والتهاون بها أكثر، لأن الحوامل عليها كثيرة

(١) إعجاز القرآن د. عبد الكريم الخطيب صـ٤٠٦ وما بعدها، دار الفكر العربي – القاهرة، ط١ (د – ت) .
(٢) صحيح البخاري ٢١٨/١٣ .
(٣) المرجع السابق ٢١٨/١٣ .

كالعداوة والحقد والحسد، وغير ذلك فاحتيج إلى الاهتمام بتعظيمه " [١] كما أن مفسدة الإشراك بالله قاصرة على الآخرة بينما شهادة الزور مفسدتها الدنيوية أكثر منها أخروية .

ولكن نطرح هنا سؤالاً هو: هل معنى ذلك أن الإشراك بالله أقل بشاعة من قول الزور ؟

أقول: لا، فقول الزور ليس أقل بشاعة من الإشراك بالله، لأن الشرك هو نهاية الشوط الذي ينتهي عنده المبطلون، ولكن رسول الله (ﷺ) لما جلس وكرر كلامه لم يكن ينبه إلى أن هذا الزور أبشع عند الله من الشرك، ولا من عقوق الوالدين، وإنما يبين أنه أسوأ ما يواجهه الجماعة؛ وأسوأ ما يهدمها؛ وأبشع ما يردها إلى الوراء ويقضي عليها بالتخلف [٢] .

ثم يأتي سؤال آخر: أليس الإشراك بالله وعقوق الوالدين هما نوع من الكذب والزور، فلماذا أفرد شهادة الزور بعد ذلك ؟

والجواب أن ذلك يشير إلى أهمية وخطر شهادة الزور التي هي المحور الرئيسي في الخطاب، والهدف منه، وهو التحذير والتنفير منها، لمخاطرها وأضرارها التي لا يمكن أن تُعد ولا تحصى، وكذلك لكثرة أنواعها، وكذلك لأنها تفقد التوازن والتوافق النفسي للفرد والمجتمع يُضعف النفس أمام المغريات، وعدم تحقيق الإصرار والإرادة عن الابتعاد عن تلك المغريات، ثم انتشار روح العداوة والبغضاء والحسد على أفراد المجتمع وتفكيكه وتدميره ، بينما في حالة إصلاحهم وتغييرهم، وعدم تحليهم بتلك الصفة، فإن هذا يحقق الاحتفاظ بتوازنهم الخلقي، والنفسي، والاجتماعي بعدم ميلهم عن الحق، والدفاع عنه، بعد أن كانوا سلبيين، وعدم إحساسهم بخطورة ذلك الأمر، واستشعارهم بمدى تفوق الخطاب النبوي في

---

(١) منهج النبي في تعليم الصحابة د. فاضل إسماعيل خليل صـ٢٨، مجلة البصرة عدد ٦٦ كلية الآداب، ٢٠١٣م .

(٢) شرح أحاديث من صحيح مسلم صـ١٥٤، ١٥٥ .

تعديل سلوكهم بعدم التهاون في ذلك الأمر، واقتناعهم بمدى بشاعة هذا المنكر وقدحه .

ويأتي سؤال آخر هو أليس الزور جزءًا من الكذب، فلماذا آثر النبي (ﷺ) التعبير بـ (الزور) ؟

والجواب أن الكذب يشتمل على الزور إلا أنه إذا كان الجزء منهياً عنه، فمن باب أولى الكذب؛ لأن الخبر في الكذب مخالف للحقيقة والواقع بالكلية، فالكذب هو: كل خبر مخبره على خلاف ما أخبر به [١]، بينما الزور هو حقيقة ولكنه زور جزء منه، فالزور هو: الميل [٢] أو إصلاح الكلام وتهيئته ، والكذب قد يكون مطلوباً في بعض المواقف مثل: الكذب على الزوجة، والإصلاح بين المتخاصمين، وفي الحرب، ولذلك قال النبي (ﷺ) " ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ويقول خيراً وينمي خيراً " [٣] .

أما الزور فهو مرفوض على كل حال من الأحوال، وشهادة الزور تعد قمة شناعة الكذب، لتشعبها وكثرة أضرارها .

وكانت براعة الرسول (ﷺ) في التعبير في خطابه بلفظ (الزور) بمخارجها وحروفها وموسيقاها، واقتراب الوترين الصوتيين بين (الزاي والواو) حيث يخرجان من الجوف [٤]، إشارة إلى مدى التمويه بالحق وذيوعه، كانتشار الهواء في الجوف والفم، كما أوحت بمدى خفاء الحروف كما يلجأ صاحب شهادة الزور إلى إخفاء المعلومات التي

---

(١) الكليات للكفوي، مادة (كذب) صـ٧٤٢، تحقيق: عدنان درويش، مؤسسة الرسالة – بيروت .

(٢) اللسان مادة (زور) ٣٣٧/٤ .

(٣) فيض الباري ١٠١/٤ .

(٤) النظام الصوتي للغة العربية دراسة وصفية تطبيقية د. حامد بن أحمد الشنبري صـ٢٢، مركز اللغة العربية، جامعة الأزهر، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م .

تظهر الحق، والمبالغة في إخفائها وعدم ظهورها لئلا يفضح أمره .

كما أشارت حركة الضم وحرف (الراء) بمدى التفخيم من هول مخاطر وأضرار شهادة الزور، وثقلها على النفس حيث تحتاج إلى مشقة في إخفاء الحق وعدم ظهوره .

ثم ختم الرسول (ﷺ) خطابه بإعلان نتيجة خطابه، ونجاحه في تعديل سلوكهم لهذه الجملة الحوارية في قولهم: (ليته سكت) بتمني الشفقة منهم على حبيبهم، وانخلاع نفوسهم من هذا التكرار السابق في قوله: (شهادة الزور) وتغيير موضع جلسته، فاقتنعوا اقتناعاً تاماً من أعماق نفوسهم إلى تعديل سلوكهم بأن استجابوا له في اجتنابهم لتلك الصفة، وخوفهم من الوعيد في قوله: " أكبر الكبائر ".

فكل هذه الوسائل التعبيرية التي استعان بها النبي (ﷺ) في خطابه حققت الإصلاح، والتغيير المرجو من الناس ، ودلت على نجاحه – أيضاً – في تهيئة نفسية المخاطب وتنبيهه بأكثر من أسلوب تعزيزي، كالاستفهام، والحوار، والتكرار، وإيحاءات بعض الألفاظ كـ (أكبر الكبائر)، و(الزور) لكل هذا نجح الخطاب في تحقيق التوافق النفسي والاجتماعي بنشر روح المحبة، وقوة الشخصية، وعدم تزعزها، وثباتها أمام المغريات، والعدل، والمساواة بين أفراد المجتمع بما يحفظ كيان المجتمع، وحمايته من الانهيار والتدمير.

المبحث الثالث

أسلوب الحوار وأثره في تحقيق التوافق النفسي والاجتماعي

لجأ الرسول (ﷺ) في خطابه إلى أسلوب الحوار القائم على السؤال والجواب أو بغيره؛ لما في الحوار من المواجهة بحيث يكشف من خفايا النفس ومكنوناتها ما لا يتكشف في غيرها، ولما فيه من الحركة والحيوية، والتفاعل والمشاركة؛ لأن الجملة الحوارية هي: " الجملة المجاب بها في حوار قصص أو المردود بها على استفهام في كلام متصل " (١) .

فالحوار يفتح العقول لمعرفة معارف جديدة كانت مجهولة وغائبة عنها، كما يساعد الحوار على " وضوح التفكير وسلامته، وعلى التخلص من الأخطاء والعوائق التي تحول دون الوصول إلى الحقيقة " (٢) .

وكذلك تجعل المخاطب والمتلقي مشاركاً للمتكلم في بناء النص من خلال تفاعله اللفظي وإجاباته .

وقد استطاع النبي (ﷺ) من خلال الخطاب المستند على الحوار من حسم الصراع القائم بداخل النفس، ومراعاة حال المخاطب النفسية، ومخاطبته بما يلائم تلك الحالة، وعلى قدر الحالة المثارة يكون اختيار الوسائل الحوارية المناسبة كالاستفهام، التكرار، الأمر .. المعضدة للأسلوب الحواري، والبؤرة المركزية في النص الخطابي، مما يجعل الإنسان يقلع عن الشيء المنهي عنه، أو يرغب في الشيء المأمور به وهو مقتنع وراضٍ عن نفسه، بل " وحمله على الاستجابة لما يراد منه بطريق غير مباشر "(٣)، واستمالته بتحريك مشاعره وعواطفه، فيسارع إلى التصديق والتسليم .

---

(١) تجديد النحو د. شوقي ضيف صـ٣٥٧، دار المعارف (د – ت) .

(٢) الحديث النبوي وعلم النفس د. محمد عثمان نجاتي صـ١٥٢، دار الشروق ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م.

(٣) التحليل النقدي للخطاب صـ١٨ .

وكل هذا سوف يتبين لنا من خلال النموذج المدروس .

حديث النهي عن الزنا:

عن أبي أمامة الباهلي (ﷺ) قال: إن فتى شاباً أتى النبي (ﷺ) فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه فقال: ادنه، فدنا منه قريباً " قال: فجلس قال: " أتحبه لأمك " قال: لا. والله جعلني الله فداءك . قال: " ولا الناس يحبونه لأمهاتهم " . قال: " أفتحبه لابنتك ؟ " قال: لا . والله يا رسول الله جعلني الله فداءك قال: " ولا الناس يحبونه لبناتهم " . قال " أفتحبه لأختك ؟ " قال: لا . والله جعلني الله فداءك قال: " ولا الناس يحبونه لأخواتهم " . قال: " أفتحبه لعمتك ؟ قال: لا . والله جعلني الله فداءك . قال: " ولا الناس يحبونه لعماتهم " قال: " أفتحبه لخالتك ؟ قال: لا . والله جعلني الله فداءك . قال " ولا الناس يحبونه لخالاتهم " قال: فوضع يده عليه، وقال: " اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه " فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء [(١)] .

وقال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب إلا من هذا الوجه، وضعفه الألباني.

ولما كثرت المغريات – في عصرنا الحالي – والانحرافات الخلقية، وحدث تطور كبير وسريع في الماديات وتغيرت المفاهيم، ربما أدى ذلك إلى انحراف الشباب الخلقي، وجرهم ذلك إلى الرذيلة والزنا، وأدى بهم هذا إلى خور عزيمتهم، وعدم تحكمهم في ضبط أهوائهم، فيصيرون مثلهم كمثل " الكلب الضال حين يتسكع

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٤٥/٣٦ رقم ٢٢٢١١، وقال محققه: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح، والطبراني في: المعجم الصغير ١٦٣/٨ رقم ٧٦٧٩، ومسند الشاميين ١٣٩/٣ رقم ١٠٦٦، والبيهقي في: شعب الإيمان ٢٩٥/٧ رقم ٥٠٣٣ .

المعجم الكبير للطبراني، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي ١٦٣/٨، رقم الحديث ٧٦٧٩، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢، (د – ت) .

مسند الشاميين للطبراني تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي ١٣٩/٣، رقم الحديث ١٠٦٦، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٤م .

لاختطاف طعامه فيقع على جسمه من الضربات أكثر مما يدخل في فمه من المُضَغ المنهوبة " [١]، فيصبح حيران مضطرباً، بالإضافة إلى ما يصيبه من الأمراض الجسدية التي يستعصي علاجها .

ولا تقتصر مساوئ الزنا على نفسية الشباب فحسب بل تتعداه إلى المجتمع – أيضاً –، لأنها رجوم تملأ جنبات المجتمع بالمآسي والمخازي، وانتشار الجرائم من تدمير معنويات الأمم، وانتشار الأوبئة الخبيثة في كيانها !! [٢]، والتدهور الثقافي والخلقي والاجتماعي، والاقتصادي .

ونجد العلاج لهذه المشكلة سهلاً في خطابه (ﷺ) في هذا الحديث النبوي الشريف، الذي ينطبق تمام الانطباق على عصرنا الحالي وإن اختلفت الظروف الاجتماعية عنها .

ففي هذا الحديث راعى النبي (ﷺ) حالة الشباب الاجتماعية وهو ما يعرف بالسياق المقامي، حيث أنه كان قريب عهد بالجاهلية، وكان هذا السلوك (الزنا) منتشراً بينهم بصورة كبيرة، وهذا يلائم " ما كان عليه القوم من بداوة وغلظة عيش وضيق أفق، وسذاجة تفكير، وقرب عهد بالجاهلية، فلا يبادرهم بالزجر والنهر والتوبيخ " [٣] .

وهذا ما سلكه النبي (ﷺ) حينما حاور هذا الشاب، الذي جاء إلى النبي (ﷺ) ملتمساً أن يأذن له بالزنا، فما كان من الصحابة إلا أن زجروه، وكادوا أن يقتلوه من هول ما سمعوه، وانظر إلى موقف النبي (ﷺ) المغاير تمام التغاير لأسلوبهم، حيث حاوره بأسلوب يتسم بالرفق واللين واللطف، بأن أمرهم بأن يدنو منه، فقال: (ادنه فدنا قال فجلس) ليهدئ من روعه، وفيه رفق منه وملاينة وعدم مخاشنة بأن قال له: أنت

---

(١) جدد حياتك صـ١١١ .

(٢) جدد حياتك صـ١١١ " بتصرف " .

(٣) السنة النبوية رؤية تربوية د. سعيد إسماعيل علي صـ٢٥٢، دار الفكر العربي – القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م .

مجرم أو فاسق، أو تلا عليه الآيات التي تحرم الزنا [١] " لأن هذا أقلع للباطل في ذلك الوقت من قلب الشاب بحسب تصوره وإدراكه [٢] .

بل هيأ الجو أمامه معنوياً بأن قربه منه، وطمأنه، وأخذ بيده لاقتلاع هذه الخصلة من قلبه، فبدأ يستجيش مشاعره؛ لكي يجعله يقر هو من قرارة نفسه بأن الزنا حرام، ويقنعه بذلك، وليس هذا فحسب، بل أراد أن يستميله بأن يسارع إلى تنفيذ ذلك بالتطبيق والإذعان له بالتسليم والامتناع عن هذا السلوك السيء .

ولن يتم ذلك كله إلا إذا كان الخطاب خطاباً لغوياً بلاغياً قوياً ومعبراً، ومتنوعاً، ولذلك نجد أن الرسول (ﷺ) شحن خطابه بأكثر من أسلوب تأثيري، منها الحوار الذي بدأ به الخطاب، ليتوصل به من خلاله إلى التوغل في مكنونات نفسه الداخلية، ومخاطبة وجدانه ومشاعره بأنه ليس مسؤولاً عن نفسه فحسب، بل مسؤولاً عن الآخرين، لأنه وضع له حدوداً وضوابط يجب أن يتوقف عندها، ويحسم له الصراع القائم بداخل نفسه، فقال: " أتحبه لأمك " قال: لا ... إلخ ثم أتبع هذا الأسلوب الحواري بأسلوب استفهامي آخر تقريري بالهمزة، وذلك لأن التقرير: هو " حمل المخاطب على الإقرار بما يريده المتكلم، وفي هذه الحالة يكون المتكلم طالباً لجواب المخاطب ليسجل عليه اعترافه المقرر ، وهو ما يلي الهمزة ، وليس من المعقول أن يكون الاستفهام هنا حقيقياً ؛ لأنه لا يكون حقيقياً إلا إذا كان المتكلم جاهلاً بالمسؤول عنه، أما في التقرير فإن المتكلم عالم به، ولكنه يريد من المخاطب أن يوافقه لغرض من الأغراض كالحكم عليه بإقراره والتشهير به، وإظهار أمره للناس " [٣]، فالرسول (ﷺ) من خلال هذا الاستفهام التقريري أراد من هذا المخاطب (الشاب) الاعتراف لا الاقتناع بخطأ أو صواب [٤] بأن يعقد موازنة نفسية، وعقلية

---

(١) قوله تعالى: {وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً} .

(٢) الرسول المعلم د. عبد الفتاح أبو غدة صـ١٠١ .

(٣) معاني التراكيب ١٠٢/٢ .

(٤) الحديث النبوي من الوجهة البلاغية صـ٣٦١ .

وقياسية، لكي تنجح عملية التغيير، فينظر ويتأمل ويتدبر، وينبه نفسه فتثير فيه مشاعر الغيرة، والحيطة، والحذر من الوقوع في مثل هذه الرذائل، وهي الزنا، بل ونبذها والابتعاد عنها ، فأسهم الحوار مع الاستفهام عن وصول الشاب إلى " الحقيقة عن اقتناع عقلي، وارتياح نفسي، واطمئنان وجداني يجعل صاحبه يعيش، وهو ثابت على ما آمن به ثباتاً لا ينازعه ريب، ولا يخالطه شك، ولا يحوم حوله وهم " [١]، مع تخفيف الصراعات الداخلية فتريحه نفسياً من غليان هذا الشيء بداخله ، ولتبين له أفكاراً جديدة كان يجهلها، فيبدأ في التحول عن السلوك السيء بالابتعاد عنه، بل جعل الحوار مع الشاب متابعاً ومشاركاً ومتفاعلاً بإيجاد حل لهذه المشكلة التي يعاني منها.

ثم أتى بأسلوب تعبيري آخر في الخطاب، وهو (التكرار) للهمزة والفعل المضارع في قوله: (أتحبه) وفي بعض الروايات (أترضاه) [٢] وقوله: (لا)؛ ليساعد الشاب على الفهم، والاحتفاظ بما اكتسبه من معلومات أو مهارات [٣]، وتثبيتها، والاعتناء بهذا الشيء المكرر .

كما يلاحظ تكرار الكلمة في إطار المحبة (أتحبه)، أو (أترضاه)؛ للإشعار بالأسلوب الهادئ المؤثر، والقول اللين الذي يأتي بثماره في تحقيق الإصلاح والتغيير، وتحقيق المهارة في الاتصال بالآخرين .

وكذلك جاء الترقي والتدرج من ذكر الأقرب فالأقرب " الأم، الابنة، الأخت، .. إلخ " محققا للهدف المنشود، وهو أن يصل بالشاب إلى اقتلاع هذه الخصلة من قلبه، وتقوية عزيمته وإرادته أمام المغريات التي قد تغريه، والتأثير على وجدانه بذكر محارمه، فجعله أبعد ما يكون عن المحارم، ولذلك صدق الرسول

---

(١) أدب الحوار في الإسلام د. سيد طنطاوي صـ٣، دار النهضة ٢٠٠٣م (د – م) .

(٢) تراجع: روايات الحديث فى: مسند أحمد ٤٥/٣ .

(٣) الحديث النبوي وعلم النفس صـ١٥٢ .

(ﷺ) حينما قال: " اتق المحارم تكن أعبد الناس " [١] .

ولهذا لم يدافع عن محارمه فقط بل جعله يدافع عن جميع نساء المسلمين لأنهم جميعاً بمثابة أمه وابنته وأخته ... إلخ، ولهذا اقتلع هذا السلوك المنحرف منه قلبه، ولذلك فاز بالدعاء الذي دعا به الرسول (ﷺ) بوضع يده الشريفة على صدره وقوله له: " اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه " .

وإذا تحقق التوافق النفسي للشباب أدى هذا بدوره إلى التوافق الاجتماعي، في الاهتداء إلى مكارم الأخلاق، وحفظ الحرمات، فيشعر أفراد المجتمع بالأمن، والترابط، والتماسك، وعدم انتشار الأمراض والأوبئة الفتاكة من خلال انتشار الزنا .

وكل ذلك ما كان ليأتي إلا من خلال خطاب بلاغي مؤثر يتحقق فيه الترابط والانسجام بين فقراته، ولهذا أتى بثماره على النفس والمجتمع .

---

(١) شرح المشكاة للطيبي ٣٢٨٢/١٠ .

الخـــــاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسـيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً .

أما بعد

فبعد دراستنا واستنشاقنا لرائحة وعبق هذه الخطابات الحديثية العطرة وجدنا مدى ترابط هذا الخطاب وانسجامه، وترابطه، بحيث تناسقت وترابطـت فقـرات الخطاب ببعضها، بحيث ارتبطت سابقتها بلاحقتها في انسجام تـام دون تشـتت أو توزيع .

وبالتالي توافرت عدة أساليب حققت ذلك التناسق والانسجام الخطابي وهي كالآتي:

أساليب عامة: كأساليب الترغيب والترهيب، وأسلوب العرض والتحضيض وأسلوب الحوار .

وأساليب فرعية وهي: أسلوب التكرار، الشرط والجزاء، الترقي، التأكيد بـ (إنَّ) و (أنَّ) .

ويمكن استخلاص أبرز النتائج التي توصل إليها البحث فيما يلي:

١-كان النبي (ﷺ) مراعياً في خطابه لحال المخاطبين فيخاطب كلاً بمـا يلائمـه، ويختار له من الأساليب والألفاظ التي تلائم نفسيته، فيأتي هذا بدوره في تحقيق الرضا، والولاء للجماعة والمجتمع .

٢-تنوعت أساليب تعبير النبي (ﷺ) في خطابه، فلم يجر على وتيرة واحدة، ليحدث بهذا التأثير على المخاطب، والوصول إلى تحقيق الغرض المنشود في تعـديل السلوك، وتحقيق التوافق النفسي والاجتماعي للمخاطب، فيستخدم أحياناً جمـلاً انشائية ثم يأتي بجمل خبرية، وهكذا .

٣-استخدم النبي (ﷺ) لأسلوب الحوار في خطابه ليستعين به على التـأثير علـى نفسية المخاطب بمشاركته وتفاعله في بناء الـنص، وإثارتـه علـى المتابعـة

والاستمرار لكي يصل به إلى مرحلة الاقتناع، والرضا، والتسليم له .

٤-تنوع الحوار في خطابه(ﷺ)، ووضع كل كلام في موضعه، فجاء مرة بالحوار عن طريق الاستفهام، ومرة عن طريق النداء، ومرة عن طريق المجاوبة ، وكان لكل حوار تأثيره على المخاطب بحسب طبيعة الموضوع المثار، وعلى حسب حالة المخاطب، ثم تحقيق ما يرجوه منه بتحويله من موقف سلبي إلى موقف إيجابي.

٥-ساعد الخطاب النبوي على الرقي بخطاب المسلم في زمن النبي(ﷺ) وكذلك المسلم المعاصر؛ وساهم في الرقي بالأخلاق والمثل العليا، وإيجاد حلول كثيرة لما يعانيه المجتمع المسلم من مشكلات، وتدنٍ في الأخلاق، وذلك إذا أحسن المسلم قراءة الخطاب، وهيأ نفسه لتقبله .

٦-أظهر البحث تنوع أساليب النبي (ﷺ) في خطابه ما بين استخدام الترغيب تارة أو الترهيب تارة أخرى، أو استخدام التلطف والتشويق، أو الأوامر والنواهي، أو أساليب الشرط والجزاء، أو أساليب الحوار وغيرها، ولم يستخدم تلك الأساليب فحسب، ولكي راعى الأحوال النفسية والاجتماعية، لأهميتها ودورها في تحقيق الأثر المنشود .

٧-غلبة أسلوب الشرط في أحاديثه (ﷺ) لأنها من الأساليب الأثيرة والقوية في بلاغته (ﷺ)؛ لأن الأساليب الشرطية تستوعب كثيراً من المعاني، وهى طريقة مثلى للإيصال إلى المتلقي، لأنه يحمل تشويقاً لمعرفة الجواب .

٨-ظهور الجمل الطويلة – في الأحاديث المختارة –؛ لأنها تسهم بشكل كبير في تلاحم النص، وتماسك تراكيب، بحيث يكون بوتقة واحدة .

المصادر والمراجع

١. أدب الحوار في الإسلام، د. محمد سيد طنطاوي، ط دار النهضة ٢٠٠٣م
٢. أدب الخطاب للرسل عليهم السلام من منظور قرآني (موسى عليه السلام نموذجا)، د. عودة عبد عودة، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، كلية الشريعة .
٣. أساس البلاغة للزمخشري، تح/د. عبد الرحيم محمود، دار المعرفة – بيروت – لبنان، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.
٤. أساليب الأمر والنهي في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية، د. يوسف عبد الله الأنصاري ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م (د – ط) .
٥. أساليب التشويق والتعزيز في القرآن الكريم، د. الحسين جرنو محمود، مؤسسة الرسالة، دار العلوم الإنسانية، ط:١، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م .
٦. أسلوب الاستفهام في الأحاديث النبوية في رياض الصالحين، دراسة نحوية بلاغية تداولية، رسالة ماجستير للباحث: ناغش عيدة، جامعة مولود معمري، كلية الآداب واللغات، ٢٠١٢م .
٧. أسلوب الشرط في خطب العرب ووصاياهم فى كتاب جمهرة خطب العرب لأحمد زكى صفوت، رسالة ماجستير إعداد: سمية محمد الشروانة، جامعة الخليل، قسم اللغة العربية، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦ .
٨. الإصلاح التربوي والاجتماعي والسياسي من خلال المبادئ والاتجاهات التربوية عند التاج السبكي دراسة تربوية تحليلية موضوعية د. عبد الرحمن النحلاوي ، المكتب الإسلامي (د – ت) .

٩. الإعجاز البلاغي، دراسة تحليلية لتراث أهل العلم د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .
١٠. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان ١٤٣٢هـ ٢٠١١م .
١١. إعجاز القرآن، د. عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي – القاهرة، ط: ١ (د – ت) .
١٢. الإعجاز في نص الخطاب القرآني، د. عصام العبد زهد، ط: ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .
١٣. إعراب الحديث النبوي لأبي البقاء العكبري عبد الإله بنهيان – دمشق.
١٤. الإيضاح فى علوم البلاغة للخطيب القزويني، تح: د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، (د – ت) .
١٥. بحر الدموع لابن الجوزي، تح: جمال محمود مصطفى، دار الفجر، ط: ١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .
١٦. البلاغة الاصطلاحية، د. عبد العزيز قلقيلة، دار الفكر العربي– القاهرة، ط: ٤، ١٩٩٧م.
١٧. بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، عالم المعرفة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .
١٨. البيان والتبيين للجاحظ، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت .
١٩. تجديد النحو، د. شوقي ضيف، دار المعارف (د – ت) .
٢٠. الترغيب والترهيب من الحديث الشريف للمنذرى، تح: مصطفى محمد عمارة – عبد الله إبراهيم الأنصارى .

٢١. تفسير القرآن العظيم لابن كثير الدمشقي، حققه: د. مصطفى السيد محمد وآخرون، مكتبة قرطبة للطبع والنشر والتوزيع – مكتبة أولاد الشيخ للتراث، ط: ١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م .
٢٢. التفسير الكبير لفخر الدين الرازى، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط:٢، ١٤٢٠هـ .
٢٣. التكرار في الحديث النبوي، بحث منشور للباحثة: أميمة بدر الدين، مجلة دمشق، مجلد ٢٦، العدد ١ – ٢، ٢٠١٠م .
٢٤. التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِعِ الصَّغِيرِ لمحمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني(المتوفى: ١١٨٢هـ) تحقيق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم ، الناشر: مكتبة دار السلام، الرياض ، ط الأولى، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م.
٢٥. التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي، مطبعة الإمام الشافعي – الرياض، ط:٣، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .
٢٦. جدد حياتك للشيخ الغزالي، الدار القومية للطباعة والنشر (د – ت) .
٢٧. الجدع اللفيف للطرابلسي، دار العرب – بيروت، ط: ١، ١٤٢٥هـ.
٢٨. جماليات المفردة القرآنية، أحمد ياسوف، دار المكتبي، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م .
٢٩. جيد الأفكار في الأدب للقاضي حسين بن محمد، راجعه: عبد الحميد المصري، مكتبة المصري ٢٠٠٩م .
٣٠. حاشية الدسوقي " ضمن شروح التلخيص "، ط دار البصائر .
٣١. الحديث النبوي وعلم النفس، د. محمد عثمان نجاتي، دار الشروق ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م.

٣٢. الحديث النبوي، مصطلحه، بلاغته، كتبه، د. محمد بن لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، ط: ٦، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .
٣٣. حياة الحيوان الكبرى للدميري، دار الكتب – بيروت، ١٤٢٤هـ .
٣٤. دلالات التراكيب، دراسة بلاغية، د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
٣٥. دلالة السياق وأثرها في فهم الحديث النبوي، د. عبد المحسن التخيفى (د – ط – ت) .
٣٦. دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجانى، د. محمود محمد شاكر، دار المدنى بجدة، مطبعة المدنى، ط: ٣، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .
٣٧. ديوان زهير بن أبي سلمى – دار صادر – بيروت .
٣٨. رعاية حال المخاطب فى أحاديث الصحيحين، دراسة بلاغية تحليلية، د. يوسف العليوى، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م .
٣٩. السلوك الإنساني بين التفسير وأسس علم النفس المعاصر، د. عبد المجيد سيد أحمد منصور وآخرون، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة (د – ت) .
٤٠. السنة النبوية رؤية تربوية، د. سعيد إسماعيل علي، دار الفكر العربي، ط: ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .
٤١. سنن ابن ماجه، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء الكتب العربية – مطبعة فيصل عيسى البابي الحلبي (د – ت).
٤٢. سنن الترمذي للترمذي، تح: إبراهيم عطوة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط: ٢، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .

٤٣. شرح أحاديث من صحيح مسلم، دراسة في سمت الكلام الأول، د. محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط: ١، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م .
٤٤. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، تح: عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى، ط١، ١٤١٧هـ .
٤٥. شرح صحيح مسلم للقاضي عياض، المسمى إكمال المعلم، تح: يحيى إسماعيل، دار الوفاء، ط: ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
٤٦. الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها لابن فارس، الناشر: محمد علي بيضون، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
٤٧. صحيح البخاري للبخارى، تح: محمد زهير بن ناصر، طوق النجاة، ط: ١، ١٤٢٢هـ.
٤٨. صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت (د - ت) .
٤٩. علم النفس الديني، د. رشاد علي عبد العزيز موسى وآخرون، مؤسسة المختار للنشر وتوزيع الكتاب، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .
٥٠. عمدة القاري شرح صحيح البخارى، إدارة الطباعة المنيرية .
٥١. فتح الباري لابن حجر العسقلانى، تح: أحمد عبد الباقي، دار المعرفة - بيروت ١٩٧٩م .
٥٢. الفروق اللغوية لأبى هلال العسكرى .
٥٣. فن البديع، د. عبد القادر حسين، دار الشروق ١٩٩٨م .
٥٤. فيض الباري على صحيح البخاري للهندي الديوبندي، تح: محمد بدر، عالم دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ .

٥٥. قراءة فكرية أدبية تستشرف الفقه الحضاري للسنة النبوية في مختلف جوانب الحياة الإنسانية وقضاياها الاستراتيجية، د. رفعت زنجير، دمشق – سوريا – اقرأ للطباعة والنشر، ط: ١، ٢٠٠٣م .
٥٦. كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، تح: د. علي محمد البيجاوى، د. محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية – بيروت ١٤١٩هـ .
٥٧. كفاية المعاني في حروف المعاني لعبد الكردي البيتوشي، تح: شفيع برهاني، ط: ١، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م .
٥٨. الكليات للكفوي، تح: عدنان درويش، مؤسسة الرسالة – بيروت .
٥٩. الكنايات المصرية العامة، د. أشرف عزيز، مكتبة العلم (د – ت) .
٦٠. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للهندي، تح: بكري حياني، مؤسسة الرسالة، ط: ٥، ١٤٠١هـ .
٦١. لسان العرب لابن منظور، دار صادر – بيروت، ط: ٣، ١٤١٤هـ، وط: دار الحديث، القاهرة ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م .
٦٢. اللغة الشاعرة لمحمود عباس العقاد، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٥م .
٦٣. مدخل علم النفس في ضوء القرآن والسنة، د. سعيدة محمد أبو سوسو، دار الفكر العربي – القاهرة (د – ت) .
٦٤. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للهروى، دار الفكر، بيروت، ط: ١، ١٤٢٢هـ .
٦٥. مسند البزار، تح: محفوظ عبد الرحمن زين الله، ط: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط: ١، ٢٠٠٩م .

٦٦. مسند الشاميين للطبراني، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م .
٦٧. معاني التراكيب، د. عبد الفتاح لاشين، المطبعة الإسلامية الحديثة، ط: ٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
٦٨. المعجم الكبير للطبراني، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط: ٢، (د - ت) .
٦٩. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام، تح: مازن المبارك محمد علي حمد الله ، طبع: دار الفكر - دمشق، ط ٦، ١٩٨٥م .
٧٠. المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، تح: صفوان عدنان، دار القلم - بيروت، ط: ١، ١٤١٢هـ، وتح: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت .
٧١. المقابسات لأبي حيان التوحيدي، تح: محمد توفيق حسين، دار الآداب - بيروت - ط: ٢، ١٩٨٩م .
٧٢. مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون - دار الفكر ١٣٩٩هـ .
٧٣. مقياس التوافق النفسي والاجتماعي لمتحدي الإعاقة سمعياً وبصرياً وحركياً وسلوكياً، انفعالياً تربوياً د. زينب شقير، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية ٢٠٠٣م .
٧٤. من تحليل الخطاب إلى التحليل النقدي للخطاب، د. محمد لطفي الزليطني، بحث منشور بمجلة المخبر، جامعة مولود معمري تيزي أوزو، العدد ١٧، ٢٠١٤م.
٧٥. منهج النبي في تعليم الصحابة، د. فاضل إسماعيل خليل، مجلة البصرة، عدد ٦٦، كلية الآداب، ٢٠١٣م .

٧٦. مواهب الفتاح " ضمن شروح التلخيص "، ط: دار البصائر .
٧٧. موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب لخالد بن عبد الله الجرجاني، تح: عبدالكريم مجاهد، طبع الرسالة – بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ – ١٩٩٦م .
٧٨. النظام الصوتي للغة العربية، دراسة وصفية تطبيقية، د. حامد بن أحمد الشنبري، مركز اللغة العربية، جامعة الأزهر، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م .

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	رقم الصفحة
١	المقدمة	٤٤٥٣
٢	التمهيد: الخطاب النبوي أساليبه البيانية وقيمه التعبيرية.	٤٤٥٧
٣	أولاً : الخطاب النبوي المفهوم والدلالة.	٤٤٥٧
٤	ثانياً : أثر الأسلوب البياني النبوي في تحقيق بعض القيم الاجتماعية.	٤٤٦٠
٥	المبحث الأول: أساليب الترغيب والترهيب وأثرها في تحقيق التوافق النفسي والاجتماعي.	٤٤٦٤
٦	أ: حديث الترغيب في الزواج.	٤٤٦٥
٧	ب:حديث حسن معاملة النساء.	٤٤٦٩
٨	ج: حديث النهي عن الغضب.	٤٤٧٥
٩	د: حديث سبل تكوين الشخصية السليمة.	٤٤٨٠
١٠	المبحث الثاني: أسلوب العرض والتحضيض وأثره في تحقيق التوافق النفسي والاجتماعي	٤٤٨٨
١١	حديث التنفير عن شهادة الزور.	٤٤٨٩
١٢	المبحث الثالث: أسلوب الحوار وأثره في تحقيق التوافق النفسي والاجتماعي	٤٤٩٦
١٣	حديث النهي عن الزنا.	٤٤٩٧
١٤	الخاتمة	٤٥٠٢
١٥	المصادر والمراجع	٤٥٠٤
١٦	فهرس الموضوعات	٤٥١١